## الفصل الثالث

# شبهات الإلحاد الجديد

مؤتمرات تثبيت عقيدة الإلحاد الجديد التي تجري على قدم وساق داخل كنائسهم، مادتها الوحيدة هي شبهات حول الدين، فلا يملك الإلحاد حُجة مستقلّة فحُجج المنطق نوعان، حُجج سالبة weak وحُجج موجبة strong وجميع حجج الإلحاد من النوع السالب، فهذا هو أصل الإلحاد، فلا يملك الإلحاد حُجة واحدة تدعمه وإنما يتغذى على نقد ما عند الآخر، ولذا يقول الله تعالى في كتابه العزيز ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: 148].

فليس عندهم علم مستقل يؤسس لكفر، وإنما غاية جهدهم نقد الآخر، ولذا يترك أحدهم الدين ثم يصبح كالبيت الخرب تصفر فيه الريح، ولا يحتله ساكن جديد إلى أن يتحول الملحد إلى أحد المذاهب التي يعترف هو مسبقًا بفشلها في تقديم حل متكامل، فيتحول الملحد إلى ليبرالي أو شيوعي أو سادي مازوخي أو بوذي أو يعبث بالغازات الكونية -الآرجون-، أو يصير من عبدة الشيطان، أو يتهجم كالتائه إلى أن تأتيه منيته وهو على ذلك.

ونحن في هذا الفصل سنعرض لأشهر الشبهات التي يروجها الإلحاد الجديد في ندواته، وسنُدمر أُسسها- إن شاء الله-..

### وجود الشبهة في أصلها يعني نهاية الإلحاد

عندما يأتي ملحد بشبهة فهو قد قرّر أن إلحاده انتهى:

فالشبهة تعني تمرد على قوانين الطبيعة المادية الحتمية، ودعونا نشرح هذا الأمر!

عندنا حامض وقاعدي... نضيفهم في المعمل.... تكون النتيجة ملحًا وماءًا... لو تكررت هذه التجربة مليار مليار مرة لن تتغير... قوانين حتمية..

الآن المحلد يقول: لا لا لا..... يمكن ان تكون النتيجة عسل أبيض وليس ملح وماء...، ثم فجأةً يكتشف العسل أنه المفترض أن يصير ملح وماء فيعرف خطأه الشديد و يندم.

هذا هو السيناريو الذي يدعمه الملحد عند طرح أي شبهة والمفترض أن نُصدقه والمطلوب أن نُسايره.!!

الآن الملحد تحكمه قوانين حتمية مادية كالتي تحكم الحامض والقاعدي، لن يفر منها... السؤال هو: **كيف استوعب وجود الخطأ.. كيف يندم عليه.. هل يوجد خطأ أصلاً..؟**

هل يوجد أخلاق مُطلقة أصلاً، ينطلق منها لنقد ما عند الآخر؟

الآن الأخلاق لا علاقة لها بقوانين الطبيعة، بل تسير عكس القانون فهي تأتي دائمًا ضد المصلحة الشخصية وضد المادة.. إما أن يأتي الملحد بمبرر مادي للأخلاق، و إثبات مطلقيتها، و إلا لا شبهة لديه ولن يستوعب وجود الشبهة أصلاً؟

صراحةً الملحد العربي طيب.. يظن أن الإلحاد هو كفر بالله ثم يولي هاربًا - خطف طواقي بالمصري- لا يا صاح.... إما أن تُكمل الإلحاد بجميع قوانينه و إلزاماته و إما أن تُعلن عن سخافته وسطحيته!

الله غير موجود بالنسبة للملحد، والقوانين مادية حتمية مجردة، ونحن حيوانات في سلم تطور، والذرات التي تحكم وجودنا لا معنى لها، أضِف إلى ذلك أنه لا غاية للوجود ككل، ولا قيمة للإنسان، ولا مركزية لجيناته، فقط الانتخاب الطبيعي يستولي علينا رغم أنوفنا. هذه هي أركان الإلحاد أليس كذلك؟

هذه قواعد الإلحاد التي لن يستطيع الملحد الفرار منها والتمحك في الأخلاق اللامادية..!

لا يوجد تفاعل كيميائي يفرز الضمير، وبالتالي وخز الضمير الأخلاقي هو خدعة ميتافيزيقية!

ولا يوجد تفاعل كيميائي يسير عكس الاتجاه، إذن التمرد على الداروينية والانتخاب الطبيعي يعني أنهما مجرد أُسطورة سخيفة.

تخيل قررت الالكترونات فجأةً أن تتمرد على الدوران حول النواة وقررت التوقف؛ لأن ضميرها لا يسمح لها بالدوارن المجهد أكثر من ذلك، هل أنا مطالب بتصديق هذا السيناريو الساذج؟

والإنسان ليس أكثر من نواة و إلكترونات ولا يوجد داخل الإنسان سوى ذلك، ولا يدخل في تركيبة الإنسان إلا نواة و إلكترونات في كل مكان بجسده لا أكثر ولا أقل.

إذن فالإنسان ليس هو المركز بل المركز هو النواة والإلكترونات، المركز هو الطبيعة المادية وقوانينها وحتمياتها وبالتالي قوانين الطبيعة هي قوانينه، وقد نجح هتلر في فك هذه الشفرة بكفاءة غير عادية حينما قال: «يجب أن نكون مثل الطبيعة، والطبيعة لا تعرف الرحمة أو الشفقة» وقد تبع في ذلك داروين ونيتشه ودوركايم وفرويد.

«إذا لم تتخذ لنفسك إلها فلابد أن تُقدم احترامك لهتلر أو ستالين». كما يقول إليوت في روايته الأرض الخراب.

«إذا لم يكن ثمة إله ولا دين فليس غريبًا ولا مجافيـًا للواقع أن تعيث في الأرض فسادًا ولو على حساب الآباء والأبناء» كما يقول جون لوك.

«إذا لم يكن لك دين فلا مانع أن تخونك زوجتك و يسرقك خادمك» كما يقول فولتير.

إذن إما أن يقدم الملحد دليلا ماديًا على الأخلاق، ثم يؤسس لشبهته و إما أن يصمت للأبد..

إما أن يبرهن عقليًّا على القيمة وعلى الصواب وعلى الخطأ و إما أن يعلن نهاية الإلحاد!

ليس له حل ثالث.

فالإنسان في حقيقته له أصل آخر وله معنى آخر و يستقر في ذهنه أنه ليس ابن هذا العالم، ولذا هو يصارع من أجل المثالية، من أجل الحق، من أجل الخير، من أجل المصالحة بين الضمير والمصلحة.. بين الرغبة والواجب. ولذا هو يرى الشبهة و ينتقدها، هذا هو الإنسان وهذه هي حقيقة وجوده سواءً سلّم بذلك أم جادل واستكبر!

## أشهر عشرين شبهة يطرحها الإلحاد الجديد مع الرد الموجز!

(1) قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ لِأَبِي ذَرّ حِين غَرَبَتْ الشَّمْس: **«أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَب؟»**. قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُه أَعْلَم. قَالَ ﷺ: **«فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُد تَحْت الْعَرْش فَتَسْتَأْذِن فَيُؤْذَن لَهَا وَيُوشِك أَنْ تَسْجُد، فَلَا يُقْبَل مِنْهَا وَتَسْتَأْذِن فَلَا يُؤْذَن لَهَا وَيُقَال لَهَا: اِرْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَطْلُع مِنْ مَغْرِبهَا فَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى:** ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس: 38]».

**الإجابة:** العرش قُبة السماء ويحيط بالكون من كل جهة كما قرر شيخ الاسلام -ابن تيمية- من مجموع الأحاديث في هذا الباب، وعليه فالشمس تحت العرش في كل وقت، وسجودها سجود صفة - تسبيح- وليس سجود هيئة، وهذا معلوم، وقبل يوم القيامة ستكون تحت مركز العرش، وساعتها ستتوقف وتطلع الشمس من مغربها.

**(2) ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فَعَلا مَنِيُّ الرجل مَنِيَّ المرأة أذكرا بإذن الله، و إذا علا مَنِيُّ المرأةِ مَنِيَّ الرجل أنثا بإذن الله.**

**الإجابة:** ماء الرجل والمرأة به إعجاز علمي حيث إن الحموضة والقاعدية لإفرازات المرأة تؤثر على استقطاب البويضة affinity للحيوان المنوي من نوع اكس أو واي، والسائل المنوي قاعدي و إفرازات المرأة حامضية، فأيهما زادت نسبته زاد الترجيح للاستقطاب بحسبه!

**(3) الماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب كيف؟**

**الإجابة:** الصلب هو العمود الفقري والترائب هي الضلوع، وهذا هو المكان الجنيني للخصية والمبيض، وبعد نزول الخصية في مكانها تظل تُغذيها أوردة وأعصاب خارجة من نفس المكان الجنيني، وهذا من عجائب الخلق، يعني المفترض أن الخصية يغذيها شريان بجوارها وهكذا أغلب الأعضاء، لكنك تجد أن الخصية يغذيها شريان ينزل من الأعلى من المكان الذي وُجدت فيه في المرحلة الجنينية، ويُغذيها عصب يخرج من مكان تواجدها أيضًا في المرحلة الجنينية، فصار خروج الحيوان المنوي ظاهريًّا من الخصية وحقيقةً من بين الصلب والترائب؛ لأن مكان تغذيته ومصدر الإشارة العصبية التي تطلقه جاء من ذاك المكان - المكان الجنيني الموجود بين الصلب والترائب!

(4) ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك: 30]، **لكن الآن المضخات الغاطسة تستطيع أن تأتي بالماء من أى عمق.**

**الإجابة:** الماء الذي نحصل عليه بالغاطس- الطلمبات- هو ماء نابع ومعين، ويَعرف ذلك حتى قدماء العرب منذ أيام الشادوف، أما غور الماء فهو بعيد عن ذلك تمامًا، فمثلًا لو افترضنا أن مسامية الصخور زادت فقط للضعف لغار الماء في بطن الارض، وما استطعنا إليه سبيلًا وساعتها لانهارت منظومة المياه الجوفية.

هل تعلم أن 40 % من البشر يعيشون على المياه الجوفية، أي يعيشون على نعمة أن مسام الصخور بهذا الحد الذي يتيح حفظ الماء وليس غوره بعيدًا في قلب الأرض، والله فقط يُذكرنا بهذه النعمة التي ربما لا نلتفت لها!

**(5) تفسير كل شيء بنسبته للخالق هو سد ثغرات معرفية لا أكثر.**

**الإجابة:** بخصوص فكرة آلهة سد الثغرات المعرفية، فمستر فورد لم يكن جزءًا من الآليات الميكانيكية لآلة الاحتراق الداخلي في السيارة، ولم يكن خطوة من خطوات معادلات عملية الاحتراق؛ لكنه المسئول عن وجود الآلية التي تحمل بصمات عقله وعمل يديه!

فالعلم يرينا بصمات الخلق والتصميم والوعي والارادة والإيجاد والضبط والمعايرة الدقيقة.

فالإله الخالق ليس سد ثغرات كما يزعمون، وإنما هو تفسير ما علمناه وما فهمناه وهو تفسير لماذا العلم صار قادر على التفسير، ولماذا العلم موجود، فالإله ليس شرطًا لما نجهله بل هو شرطٌ لما نعلمه!

**(6) الكفر كالإيمان قضية لا تؤثر على تصرفاتك وقراراتك.**

**الإجابة:** الكفر يؤثر على حياتك كلها ويجعلها بلا معنى ولا هدف ولا غاية، ويصور الوجود كله على أنه حالة عبثية وضياع واغتراب، وهذا مدعاة لخراب البلاد والأمم وتقويض أركان الأخلاق.

فالكفر يؤدي إلى القلق الدائم والسخط واضطراب نفسي لا يُحتمل، ففي غياب الإله تفقد الأشياء معناها وتميزها.

والكفر يجعل كل الأشياء مباحة، وهذا له أضراره الاجتماعية والنفسية والسلوكية التي لا تحصى، فيكون السبق لتحقيق الشهوة والرغبة لا الحق والعدل، ويُعجب كل ذي رأيٍ برأيه.

بينما الإيمان يولد الاطمئنان والرضا، والاستقرار النفسي.

**(7) الشواذ أو مثليي الجنس تبين أن السبب في ذلك جينات، ويخلق الانسان بهذا الميل الشاذ.**

**الإجابة:** هذه خرافة علمية، ففي عام 1993 قام عالم الجينات الأمريكي دين هامر Dean Hamer بدراسة المؤشر الجيني Xq28 الموجود على الكروموسوم X وهذا المؤشر الجيني كان يُعتقد حتى وقت قريب أن له علاقة بالشذوذ الجنسي، وقام بالبحث في محاولة لإثبات ذلك وبعد تجارب كثيرة تبين فشل الأمر، وتبين أنه لا توجد علاقة بين الشذوذ الجنسي والجينات.

وفي هذا الإطار يجب ملاحظة أن ثقافة الشذوذ الجنسي، تفرض نفسها على المجتمع الغربي الآن، وتبحث لها من خلال العلم عن تبريرات منطقية!

ثم جائت أبحاث قِسم العلوم العصبية الإكلينيكية، بجامعة أونتاريو الغربية بكندا عام 1999، ردًّا على بحث دين هامر Dean Hamer، وفي مرحلة لاحقة تراجع هامر بنفسه.

فعمليًّا فشلت الأبحاث تمامًا في إيجاد تلك الصلة بين الشذوذ الجنسي والجينات[1].

وقد جاءت أبحاث التوائم المتماثلة -الذي تتطابق جيناتها- لتقضي على أي أملٍ لدعاة الشذوذ الجنسي.

فالتوأم المتماثل لا تسوده نفس الميول الجنسية بل تختلف تمامًا[2].

Identical twin studies prove homosexuality is not genetic

**(8) السماء سقف وبناء، ويمكن أن تنهار!**

**الإجابة:** نعم السماء بناء متكامل وسقف محفوظ ومرفوع، هذه المسألة أنا بحثت فيها في

(1) http://www.sciencemag.org/content/284/5414/571.summary.

(2) http://www.hollanddavis.com/?p=3647

هذه المسألة تعرضت لها بالتفصيل في موسوعة الرد على الملحدين الذعر -.

الفيزياء بنفسي، في عام 1916 لخص أينشتاين نظريته العامة في بحث نُشر في مجلة annalen derphysic وبيّن في أقل من 60 صفحة أن الفضاء ليس مجرد ستار تتجلى عليه الحوادث، بل هو نفسه بنية أساسية تتأثر بطاقة الأجسام التي يحويها وبكتلتها، وقد علق ماكس برون على النظرية بقوله: « تبدو لي النظرية أنها أعظم إنجاز حققه الفكر البشري عن الطبيعة، وأنها أعظم تركيب مذهل يجمع بين النظرة الفلسفية الثاقبة والإلهام الفيزيائي والمهارة الرياضية".

إذن السماء مبنية ويمكن أن تسقط، بل ويمكن أن تنهار مادتها في أي لحظة، ويمكن أن تصطدم المادة المظلمة التي تُكون 72 % من مادة السماء بذرات عالمنا المادي، فينهار عالمنا المادي في أي لحظة، ويمكن أن تتحول أكبر الأفلاك في عالمنا إلى ثقوب سوداء وتنهار في أي لحظة.. إذن الله وحده هو الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض.

**(9) الأرض ثابتة راسخة لا تتحرك ومنبسطة.**

**الإجابة:** أما عن ثبات الأرض، فالقرآن لم يقل أنها لا تتحرك، هذا من تزييف الملاحدة، وإنما قال برسوخها بالجبال وهذا أصل في الجيولوجيا.

أما عن بسط الأرض فهذه حقيقة لا تمنع من تكورها، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إجماع علماء الإسلام على كُرية الأرض، والإجماع منقول منذ ألف سنة كما جاء في مجموع الفتاوى 6 / 587 بل وينقل الإجماع أيضًا ابن الجوزي وابن حزم.

ويقول ابن تيمية كلمة عجيبة: «وَأَمَّا مَنْ ادَّعَى مَا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَهُوَ مُبْطِلٌ فِي ذَلِكَ وَإِنْ زَعَمَ أَنَّ مَعَهُ دَلِيلا حِسَابِيًّا».

فالأمر قد حسمه القرآن وقال فيه كلمته: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الزمر: 5]، ولا يكون تكوير إلا على سطح كرة!

**(10) الشمس تتحرك بالنسبة للأرض «تأتي الشمس من المشرق»، مع أن الأرض هي التي تتحرك.**

**الإجابة:** منذ سنوات قال لي أحد الملحدين: هل الشمس تغرب؟

ما يحدث هو دوران للأرض حول محورها في اتجاه معين وبزاوية معينة.. قلت إذن المطر

لا ينزل فما يحدث هو تفاوت حجم قطرة الماء وكرة الارض على نسيج الزمكان، ولا يوجد شيء اسمه ألوان، ما يحدث هو امتصاص موجات وطرد أُخرى، ولا يوجد أصوات بل خلخلة للهواء، وهكذا يا صاح هذه الشبهات هي شبهات ملحدين سُذَّج!

اذهب لأكبر موسوعة ترجمية مثل bablyon english-english واكتب sun set وانظر الترجمة:

descent of the sun below the western horizon, setting of the sun; time when the sun descends, evening; decline, final stage

غروب الشمس هو نزولها عن خط الأفق.

أما شروق الشمس:

sunrise ** rising of the sun; dawn, time of day when the sun rises above the horizon; beginning, emergence

الآن ما معنى كلمة sun sit هل يوجد شيء اسمه جلوس الشمس.. سجود الشمس؟ set* فِعْل: يُقْعِد. يُجْلس sit* فِعْل: يَجْلِس. يَقْعُد. يسجد. ينعقد المجلسُ

الآن لو ذهبت لأحد المنتديات الإنجليزية المتخصصة وأخذت اعتراضات الملحدين وقلت لهم: لماذا يا إنجليز يا سُذَّج تقولون: جلوس الشمس؟ صدقني سيضحكون عليهم، لكن هذا غاية جهد الملحد مع القرآن، والحمد لله أن الله رد كيد الملحد إلى هذا الغباء.

**(11) القمر بينهن نورًا.**

**الإجابة:** قائل هذا الكلام حاقد وكذاب؛ لأن القرآن يقول فيهن وليس بينهن، وفيهن أي داخلهن، أم يظن الملحد أن القمر خارج السماوات!

**(12) ملائكة موكلَّة بالمطر والرعد والبرق، مع أن العلم أعطانا تفسير هذه الظواهر!**

**الإجابة:** أحد مُسَلَّمات الفيزياء الإمبريقية اليوم، أن الظاهرة لا تقتصر أسباب وقوعها على جملة الأسباب التي تتراءي لعلماء الطبيعة، ألا يُخبرنا علماء الرياضيات التجريدية كل يوم أن طيران فراشة فوق سهول سيبريا قد يكون من الأسباب المُفضية إلى وقوع إعصار في أمريكا، فيما يُعرف علميًّا بتأثير الفراشة Butterfly Effect، ونظام الأسباب الكوني أشد تعقيدًا من

الرصد الإمبريقي - التجريبي- وأيضًا أشد تعقيدًا من رصد الرياضيات الخطيِّة، وأساس العلم التجريبي يقوم على تسهيل التصور، وتقليل الفرضيات لتضييق دائرة الاحتمالات، وهذا أصل العلم التجريبي.

فمثلًا لا تمنع معرفة عملية الشحن الكهربي في الغلاف الجوي التي تُسبب البرق لا تمنع تلك العملية استصحاب قيام المَلك بإصدار الأمر، وحدوث البرق.

وأمر الملائكة من غيب الله تعالى المكنون الذي ستره عن البشر، فلا يعلم حقيقة أمرهم إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وحركة السحاب وخلخلة الهواء، وتوزُّع شحنات الكهرباء لا يُخرِج الظاهرة عن إرادة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

**(13) لماذا يولد أطفال مشوهين؟**

**الإجابة:** لا فرق بين الذي يموت في سن المائة بضيق الشرايين التاجية، والذي يولد مشوهًا فالعبرة والمقياس لا تقاس بمعامل واحد في مسألة متشابكة كالإنسان، فربما المشوه يجد الوقت ليتدبر ويرتقي، وابن المائة سنة يرتع في الملذات ويسقط في الدركات.

لذا التبسيط واختزال المعاملات في معامل واحد أسلوب غير مقبول منطقيًّا وغير مقبول دينياً، ولكنه الحجة الوحيدة للملحد وبدون هذا الأُسلوب لن تستقيم له شبهة.

ثم إن التشوه من منظور آخر هو أكبر دليل على وجود الكمال فلولا الكمال لما تصورنا التشوه، والتشوه في أصله ليس مُصممًا مشوهًا، وإنما التشوه كما نعرف جميعًا هو خلل طارئ في ترتيب القواعد النيتروجينية، بسبب أخطاء الإنسان كتلوث البيئة ووسائل منع الحمل، والمواد الحافظة والعقاقير.

ثم إن العدالة الإلهية كما يقول الأستاذ العقاد: «لا تحيط بها النظرة الواحدة إلى حالة واحدة، ولا مناص من التعميم والإحاطة بحالات كثيرة قبل استيعاب وجوه العدل فى تصريف الإرادة الإلهية. إن البقعة السوداء قد تكون فى الصورة كلها لونًا من ألوانها التى لا غنى عنها، أو التى تضيف إلى جمال الصورة ولا يتحقق لها جمال بغيرها، ونحن فى حياتنا القريبة قد نبكى لحادث يعجبنا ثم نعود فنضحك أو نغتبط بما كسبناه منه بعد فواته».

ثم لو كان الله موجودًا فما المانع أن تكون له حكمة في تدبير الأمور، بل أليس هذا هو الأليق به سُبحانه؟

فما أبعد أحكامَه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن الفحص، وطُرقه عن الاستقصاء.

وقد جلَّى الله الحِكمة من أفعال الخضر لسيدنا موسى مع أنها أفعال تُعد ظاهريًّا مُنكرة وغير مستساغة، لكنها تكتنف على خير عظيم؟

وقصة موسى والخضر لم تأت في القرآن من باب السرد والحكايا؛ لكن من باب التدبر والإقرار بقصور النفس البشرية وحكمها المُتعجل.

ولا يجوز لملحد أن يحتجَّ في باب الحِكمة الإلهية بشيء؛ لأن الملحد بداهَة ليس كُلي العلم، ولا يعرف ما في غدٍ حتى يُقرر، ويعطي نظرة شمولية لمسألة لم يستوعبها.

ذكر الأصبهاني: أن نبيًّا من أنبياء بني إسرائيل كان يجلس بالقرب من بئر ماء، فجاء فارس ليشرب، ثم وهو خارج من البئر سقطت حافظة نقوده ولم يلتفت إليها.. فجاء راعي غنم يرِد الماء فوجد حافظة النقود فوضعها في جيبه.. ثم جاء شيخ كبير ليشرب من البئر وجلس على حافة البئر يلتقط أنفاسه، فعاد الفارس باحثًا عن ماله فلم يجده فاتهم فيه الشيخ الكبير فقتله. فقال النبي: يارب ضُرِبت عنق الرجل ولم يأخذ المال، وإنما الذي أخذ المال الراعي.. فجَّلِّ - فأظهِر - لي الحكمة..فأوحى الله إليه أن والد الفارس أخذ هذا المال من والد الراعي فرددت المال إلى الوارث، وأن هذا الشيخ قتل والد الفارس فاقتصصت منه.

الخلاصة: حُكم الملحد على الأمور التي تخفى فيها الحِكمة قاصرٌ بقصور الطبيعة البشرية نفسها، وبقصور نظرتها الإدراكية، فالاستيعاب الشمولي، والحُكم الكُلي، ليس مجال النفس البشرية ولا يقع في نطاق قدرتها القاصرة، وبالتالي فلا يحق للملحد أن يتحدث في باب الحِكمة الإلهية بشيء.

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: 7].

**(14) لماذا يعذب الله عباده أبد الآباد مع أنهم عصوه فترة محدودة؟**

**الإجابة:** علاقة العقاب بالعمل ليست علاقة تساوي زمني بالضرورة، بل هي علاقة سبب بالنتيجة.

**مثلاً:** في الدنيا رجل يدخن فتتلف رئته باقي عمره، هل نقول: دخن خمس سنوات إذن تتلف رئته خمسة سنوات من باب العدل؟

لاحظ أننا لا نرى هذه الاعتراضات في حياتنا.

**مثال آخر:** رجل سرق خلال ساعتين، هل ترانا نقول يسجن لمدة ساعتين عقابًا؟ لا؛ لأن العلاقة ليست زمنية بين الخطأ والنتيجة المترتبة، وإنما هي علاقة سبب بنتيجة.

**مثال ثالث:** رجل شرب سمًّا فمات، لا نقول: هو شرب السم في مدة 10 ثواني، لماذا ذهب ولن يعود أبدًا؟

جاء في تفسير ابن كثير في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2]، أي: خير عملًا كما قال محمد بن عجلان، ولم يقل أكثر عملاً.

يعني حتى على مستوى الحسنات والسيئات ليست العبرة مقتصرة على الكثرة والقِلة، وكلنا نعرف أحاديث من يدخل الجنة في كلب وتدخل النار في هِرة.

والله يقول: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: 54]. مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذه تشبيهات مع الفارق؛ لأن عقاب الآخرة ليس كعقاب الدنيا، ولكنها للتقريب فقط.. وكما يقال: لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عِظم مَن عصيت!

والذي ينتقد مسألة أبدية العذاب فعليه أن يأخذ في الحُسبان أبدية النعيم أيضاً، فكما أن هناك عذاب أبدي هناك أيضًا نعيم أبدي، وهناك مجانسة بين بعض النفوس المُجرمة وبين النار فيتطابقان في الآخرة، فالحاسد والحاقد والمجرم هؤلاء مأواهم هو دارهم وهو النار، أما عن كيفية التعذيب فهي غيب لم نَطَّلِعْ عليه، وليس لنا من الدنيا إلا المُسميات. فأهل النار مثلًا يتكلمون داخل النار ويتلاعنون، ويوجد في النار ماء حميم، وتنبت فيها شجرة من زقوم. وهكذا إذن الأمر غيب!

ولو عاد الكافر إلى الدنيا وأُتيحت له فرصة التكليف مرةً أخرى سيعود لكفره، وهذا ما جزم به القرآن الكريم ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: 28].

فلو عاش الكافر أبدًا لكفر أبداً، أيضًا العذاب الأبدي مُختَلف فيه بين السلف، قال ابن مسعود: **«ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابًا»**، وعن الشعبي: **«جهنم أسرع الدارين عمرانًا وأسرعهما خرابًا»**، وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«لو لبث أهل النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه»**[1].

ملحوظة: هذه الإجابة منقولة من منتدى التوحيد الإلكتروني، لكن بتصرف و إضافات.

بل لقد وقفت على أثر لأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: 107]، قال: هذه الآية قاضية على القرآن كله -أي في خلود الكافرين في النار-.

وهو أثر صحيح عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

وهناك أثر لأبي هريرة: «ما أنا بالذي لا أقول: إنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد»[3].

والعلم عند الله وحده فإليه المآل وهو العالِم بحال العباد وبمقتضى آثامهم.

**(15) الله يعلم ما أنا سأكون عليه حتى قبل أن يخلقني فلماذا سيُعذبني؟**

**الإجابة:** مشكلة الملحد في هذه الشبهة أنه لا يريد إلهًا كُلِّي العلم. وكأنه يعيب على الله أنه يعلم ما سيحدث.

الله كلي العلم وهذا لا يمنع حرية الإختيار ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: 10]، بل يمكن أن نقول بنفس منظور الملحد أنه من الظلم ألا يخلق الله الكفار وهم يستحقون العقاب، ثم إن الكفار ليسوا مقهورين على الشر بل إن فطرتهم كانت سليمة، وهم حرَّفوها ولديهم عقل وأرسل الله لهم أنبياء ورسل وهم اختاروا الكفر، وليس من الحكمة وضع الرحمة لمن لا يستحقها.

(1) الدر المنثور 3/350.
(2) جامع البيان للطبري والاسماء والصفات للبيهقي والدر المنثور للسيوطي 350-3.
(3) ذكره بسنده ابن القيم في كتابه حادي الأرواح 252 واسناده صحيح.

ثم إن الأشرار لو لم يوجدوا لكان ذلك سببًا في عدم وجود بعض الأخيار وأفعالهم وصبرهم على شر الأشرار ودعوتهم للأشرار وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذن فالله تعالى أوجد الجميع وترك حرية الاختيار للكل، وهذا هو ما عليه مدار الأمر، ثم إن الله لن يظلم عباده ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 108]، فلا يقلق الملحد إلا على نفسه.

ثم إن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: 5].

**(16) لو ذهبت للغرب تستطيع الدعوة للإسلام، بينما لو انعكست الصورة لن تسمحوا لأحد في البلدان العربية أن يُبشِّر بدينه!!**

**الإجابة:** الغرب يقوم على منظومة الرأسمالية المادية الداروينية النيتشوية، فالمركز في الغرب ليس الدين وإنما المادية العلمانية، والآن اذهب وانتقد أُسس المادية تلك، صدقني سيطردونك وينثرون بضاعتك ودنانيرك، ألم تسمع فيلم المطرودون Expelled؟

بل إن الغرب يُشرِّع قوانين تحمي أذرع العلمانية؛ فمثلًا هناك ما يُعرف بقانون ضد منكري الهولوكوست Law against Holocaust denial، فالذي ينكر محرقة اليهود على يد النازي يُعاقَب بالسجن المُشدد لمدة قد تصل إلى 20 سنة كما في النمسا[1].

وفي التشيك تصل مدة الحبس إلى ثمان سنوات.

وهناك 14 دولة أوربية تُجرِّم التشكيك في جرائم النازي، وتحبس فورًا مَن يكتب كلمة واحدة تخالف أذرع العلمانية تلك![2].

فالتشكيك في السائد في الدول العلمانية يُعد جريمة، وقد حُبس مؤرخين كبار في الغرب لمجرد كلمات تشكيكية في القناعات السائدة لدى قطاع كبير من الشعب، وخير مثال على ذلك ديفيد إيرفنج David Irving وجيمس كيجسترا James Keegstra

وقد حُبس إرنست زوندل لسنوات لمجرد التشكيك في الرقم 6 مليون[3].

(1) http://www.nachkriegsjustiz.at/service/gesetze/gs_vg_3_1947.php.

(2) http://en.wikipedia.org/wiki/Laws_against_Holocaust_denial.

(3) http://en.wikipedia.org/wiki/Ernst_Z%C3%BCndel.

وتضع الدول العلمانية قوانين استثنائية لتعقب حتى مَن يفكر في التشكيك في السائد «lone wolves». -تخيل!-.

والذي ينتقد الداروينية يُطرد خارج الجامعة، إذن أنت أخطأت في المقارنة، المفترض أن تُقارن بين منظومة ومنظومة، لا بين منظومة وفكرة داخل منظومة، فالدين في الغرب مجرد فكرة هامشية داخل منظومة مركز مادية، أما الدين عندنا فهو منظومة المركز.

**(17) لماذا يقرر الدين الحرب المُقدسة؟**

**الإجابة:** معركة الدين ليست مع أعراق أو أجناس.

معركة الدين لا علاقة لها بإبادة أو تطهير عِرقي.

معركة الدين لم تقم يومًا ما من أجل لون البشرة، وما تبِع ذلك من تفريغ قارات بأكملها- كما حدث عند تفريغ الأمريكتين من الهنود الحمر-.

معركة الدين ليست بسبب جنس مختارfavoured race، ولا مقاس جمجمة محدد- كما تقرر النازية والقوميات الأوربية في الحربين العالميتين-.

معركة الدين الحقيقية مع الباطل، أينما وُجد، وفي أي مكانٍ قامت له دولة.

وهذا واجب الدين، بل لن يكون دين سماوي بدون مسئولية عُظمى كهذه تُلقى على عاتقه.

**(18) الغنائم هي أصل الحروب الدينية وغايتها!**

**الإجابة:** بل العكس هو الصحيح، فالغنيمة عبء وهَم، وتقليل للأجر الأُخروي، قال رسول الله ﷺ: **«ما من غازيةٍ تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة، إلا تعجلوا ثلثيّ أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث، وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم»**[1].

**(19) لماذا لم يُرسل الله رسالته إلى كل شخص بذاته دون الحاجة لرسل؟**

**الإجابة:** هذا عدم استيعاب لفكرة التكليف؛ لأن الرسالة لو وصلت بتلك الصيغة فلن

(1) صحيح مسلم 3528.

يكون هناك اختبار ولا دنيا ولا تكليف ولا ثواب ولا عقاب يترتب على العمل وترك العمل، لو وصلت الرسالة بهذه الصيغة، فكلنا سنؤمن وسيكون إيمان اضطراري، كالإيمان بوجود الشمس وأصل الإيمان الديني هو إيمان غيبي ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [البقرة: 3].

**(20) لماذا رسالة الله لم تصل لجميع البشر؟**

**الإجابة:** هذه ليست شبهة ولا حتى فكرة؛ لأن الله لن يظلم عباده، وهذا ليس اختصاصك ولا اختصاصي، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: 108]، ويقول تعالى: ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ [فصلت: 46]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ [الإسراء: 15].

والذين لم تَقم عليهم الحُجة في الدنيا ستُقام عليهم يوم القيامة، ويوم القيامة مدته خمسون ألف سنة، أي أطول من عمر البشرية كله. فلا ينزعج الملحد ولا يقلق إلا على نفسه!!

## فرضية تذبذب الفراغ الكمومي
## وظهور جسيمات باستمرار في الفراغ الكوانتي

الكهنوت الإلحادي الجديد لا يمانع أن يستخدم لبوس العلم الزائف، في الترويج لدوغمائيته والهروب من الإلزام العلمي.

يقول مؤلف كتاب عالم داخل العالم: «إن نظرية الانفجار الكبير تؤدي بداهةً إلى عالم جاء من العدم، ولذا كان الفيزيائي الشهير [ستيفن واينبرج] يتمنى نظرية الكون الثابت الأزلي؛ لأنها أكثر جاذبية وأبعد عما نادت به الأديان»[1].

ويقول [جاسترو] في كتابه الخالق والفلكيون ص29: «كانت صدمة الملحدين كبيرة بعد إثبات نظرية الانفجار العظيم.. ففكرة بداية الكون في الزمان هي فكرة تُقلق أي ملحد بسبب لوازمها اللاهوتية»[2].

(1) عالم داخل العالم ص 226.

(2) كتاب الفيزياء ووجود الخالق أ.د. جعفر شيخ إدريس رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة - واشنطن - الولايات المتحدة الأمريكية.

ونظرًا لكل ذلك أصبحت "فرضية تذبذب الفراغ الكمومى «quantum vacuum fluctuations» أشهر الافتراضات التى طرحها الفيزيائيون الملحدون؛ لتفسير نشأة شيء موجود دون أن يكون له مصدر وترى هذه التخمينات أنه يمكن للجسيمات تحت الذرية أن تنشأ وتختفى تلقائيًّا فى الفراغ وأطلقوا عليها «الفراغ الكوانتى quantum vacuum»، و يرفض عالم الفيزياء الكبير «بول ديفيز paul davies»، هذه الافتراضات تماما إذ أن تَشكُّل الجسيمات فى الفراغ الكمومى لا يمثل خلقًا للمادة من لاشئ، لكنه يحدث نتيجة لتحول طاقة موجودة فى هذا الفراغ إلى مادة، أي أن الفراغ هنا ليس عدمًا مُطلقًا و إلا فمِن أين جاءت هذه الطاقة؟

ولذا فعندما طرح [ستيفن هوكنج] هذه المسألة مجددًا قام [سير هيربرت دِنجل] Sir Herbert Dingle -رئيس الجمعية الفلكية الملكية بانجلترا- بتعنيفه بشدة لما في هذا الأمر من تضارب منطقى[1].

فالفراغ المذكور هنا هو فراغ كوانتي وهو فراغ اصطلاحي، فالفراغ موجود داخل الزمان والمكان والمادة والطاقة، في حين أن الانفجار الكبير جاء من اللازمان واللامكان، والمادة والطاقة ظهرا فجأةً ومعهما بدأ الزمان والمكان والانفجار.

إذن النظرية الكمية لا يمكن تنزيلها على الإنفجار الكبير، والنظرية الكمية تفترض لظهور الالكترون في الفراغ فجأة أن يكون في حدود الزمان والمكان أي فراغ اصطلاحي، وليس كما يحاول أن يروج الكهنة الملاحدة ولا نجد داعي لدخول العلم في هذا الخندق الضيق إلا للترويج لأفكار أيديولوجية مسبقة..!!

فالزمان والمكان لم يُخلقا إلا يوم أن خلق الله السماوات والأرض.

إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض كما في الحديث المتفق عليه.

فالمكان والزمان خُلقا مع الانفجار العظيم كما يقول بلوزو

It was not Just matter that was created during the big bang. It was space and time that were created. So in the sense that time has beginning,space also has a beginning.[2]

(1) كتاب كيف بدأ الخلق د. عمرو شريف... مكتبة الشروق الدولية الطبعة الأولى يناير 2001 ص78.
(2) Boslouh, Universe, p.64..

يقول [وتكر]: «لا يوجد أساس لافتراض أن المادة والطاقة كانت موجودة ثم أثيرت فجأةً إلى الفعل، إذ ما الذي كان يمكن أن يميز تلك اللحظة عن كل اللحظات الأخرى في الأزل؟ افتراض الإرادة الإلهية أمر أيسر بكثير»..

"There is no ground fir supposing that matter and energy existed before and was suddenly galvanized into action. For what could distinguish that moment from all other moments in eternity?... It is simpler to postulate creation ex nihili, Divine will constituting nature from nothingnes(1).

إن للكون بداية مُطلقة هذه ضربة قاصمة للملحدين!!

والآن وبعد أن تبين أن الانفجار الكبير لا علاقة له بفرضية تذبذب الفراغ الكمومى، «quantum vacuum fluctuations» نأتي إلى تفسير هذه الفرضية المدهشة ومعرفة كيف تحدث؛ لأنه حتى في الفراغ الكوانتي الكمومي يستحيل أيضًا أن يظهر شيء من العدم، فكل ما يحدث هو أنه عندما تقوم بتفريغ إناء من الهواء ومن كل شيء، فإنه فعلًا سيظهر إلكترون و إلكترون مضاد ثم يختفيان، وهكذا في كل لحظة، لكن هذه العملية تسمى بعملية اقتراض طاقة من المستقبل بشرط استردادها سريعًا كما تذهب للبنك وتسحب رصيد بنية استرداده منك بعد ذلك، وهذا بالضبط ما يحدث مع الإناء الفارغ في التجربة السابقة، وهذا لا يحدث إلا في مكان كوانتي مادي حيث تُستخدم الطاقة المُقترَضة في تخليق جسيم وجسيم مضاد سريعًا ما يصطدما و يُفني أحدهما الآخر، و يُنتجان طاقة هذه الطاقة هي الدّين الذي كان على الفراغ والآن قام بتسديده، ولذا فالتذبذب الكمومي لا يتعارض بداهةً مع قانون حفظ الطاقة، ويحدث هذا الاقتراض و إرجاعه لحظيًّا في الفراغ الكوانتي، وهذه العملية يسميها الفيزيائيون بالرغوة الكمية QUANTUM FOAM حيث الجسيمات في الرغوة الكمية تظهر وتختفي في جزء من الثانية ويمكن دراسة هذه المسألة بالتفصيل تحت باب الديناميكا الكهربية الكمية QUANTUM ELECTRIC DYNAMIC أو اختصارًا QED.

ولذا لو كانت الرغوة الكمية موجودة منذ البدء لكان الكون أزليـًّا، ولظهر كون جديد في كل جزء كل لحظة، وهذا لا يقوله إلا المجانين، وللإنسان أن يتساءل: لماذا يندفع الكاهن

(1) Jastro, Universe, p.122..

الملحد خلف هذه الأطروحات المستحيلة عقليًّا وعلميًّا وإمبريقيًّا، ويترك الصيغة النقية العقلانية المنطقية للدين؟ إن القضية كهنوتية بامتياز!

حيث يبدو أن نظرية الانفجار الكبير بالفعل شيء محرج جدًّا للملحدين..!!

يقول [إرنو بزنزياس] الحائز على نوبل في الفيزياء: «علم الفلك يقودنا إلى معادلات مبهرة. هذا الكون الذي نشأ فجأة من لاشيء مَن الذي كان يملك كل هذه المقاييس والمعايير المذهلة.. مَن الذي كانت معه الخطة المسبقة للخلق؟».

يقول [آرثر إدنجتون] عالم الفيزياء الفلكية الشهير: «إن فكرة التدخل الإلهي في الكون أتصور أنها فكرة عادلة ومنطقية تماما طبقا للمُعطيات التي وفرها لنا العلم.».

يقول عالم الفيزياء[توني روثمان Tony Rothman]: «عندما نجابه روعة الكون وجاذبية الطبيعة، فإننا حتما نشتاق أن نقفز من العلم إلى الإيمان أنا واثق أن الكثير من الفيزيائيين يرغب في ذلك»[1].

يقول العالم الفيزيائي Frederick Bermham مؤلف كتاب تاريخ العلم Science historian: «في الوقت الحالي الأوساط العلمية تعتبر فكرة خلق الله للكون فكرة محترمة أكثر من أي وقت مضى منذ مئات السنين».

## ما هو مصدر الصفيحتين؟ شبهة طاقة الفراغ

في عام 1978 قام طالب فيزياء عراقي، يُدعى محمد باسل الطائي، بتقديم رسالة دكتوراه في الفيزياء إلى جامعة مانشستر، هذه الرسالة تختص باللحظات الأولى لظهور الكون.

هذا الطالب هو الآن أحد علماء الكوانتم ويقوم بالتدريس بجامعة اليرموك بالأردن، ويكتب بانتظام في المجلة الدولية للفيزياء international journal of physics.

ومنذ بضع سنوات قليلة عادت موضة الفراغ الكمّي «التذبذب الكمومي» للظهور مرةً أُخرى، وهذه الموضة الجديدة تولى كِبرها ستيفن هاوكنج الفيزيائي الشهير صاحب القفزات

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Tony_Rothman.

الإعلامية في كتابه الأخير التصميم الكبير The Grand Design، وهنا قام الدكتور محمد باسل الطائي صاحب التخصص وصاحب رسالة الدكتوراة في هذه المسألة بتفنيد المسألة فيزيائيًّا من خلال عدة نقاط وعبر الكثير من شروحه ونُبسِّط أدلته كالتالي:

1- طاقة الفراغ تُمثلها الصفيحتان في هندسة كازيمير أو الكُرة في هندسة الزمكان.. ويستحيل أن تنشأ طاقة الفراغ بدون الصفيحتين أو بدون كُرة هندسة الزمكان.- وبداهةً لحظة الانفجار الكبير لم يكن ثمة زمكان ولا صفيحتين-.

2- العدم لا يُمكن أن يتحول إلى طاقة ومادة.. ويحتاج إلى قوة خارجية.

3- يفترض هاوكنج أن القوة الخارجية هي الجاذبية والآن السؤال من أين جاءت الجاذبية؟

4- الفراغ الكمّي ليس هو العَدم، وإنما هو فراغ داخل الزمان والمكان، بينما الانفجار الكبير بدأ معه الزمان والمكان.

5- مَن الذي حدَّب هندسة الزمكان المسطح لكي تتخلق المادة؟

6- الكون لم يكن موجودًا ثم وُجد، فالكون بكل طاقته وبكل كُتلته ظهر في لحظة.. وهذا يختلف تمامًا عن سيناريو الفراغ الكمي.[1]

ولذا يرفض عالم الفيزياء الكبير [بول ديفيز paul davies]هذه الافتراضات تمامًا إذ أن تَشكُل الجسيمات فى الفراغ الكمومى لا يمثل خلقا للمادة من لاشئ لكنه يحدث نتيجة لتحول طاقة موجودة فى هذا الفراغ إلى مادة أي أن الفراغ هنا ليس عدمًا مُطلقا وهذا ما فصّلنا فيه في المقال السابق.

بل إن هذه الجسيمات الافتراضية التي تخرج من الفراغ الكمي، لا قيمه حقيقيه لها ولا يمكن أن تتحول إلى جُسيمات حقيقية إلا بتفاعلها مع المادة نفسها.

وتعتمد كل موضات طاقة الفراغ الكمي في الأساس على ظاهرة كازيمير، وهي تفترض أنه عند وضع صفيحتين معدنيتين غير مشحونتين في الفراغ، ويفصلهما بضع ميكرومترات

(1) بروفيسور محمد باسل الطائي video sources.

ولايؤثر عليهما أي مجال كهرومغناطيسي خارجي، فإنه ستظهر بين الصفيحتين قوة جذب وتم قياس هذه القوة فعلاً.

ومع أن ظاهرة كازيمير قد أثارت شروطها الحدية بعض الجدل إلا أننا سنفترض صحة الظاهرة وهنا ستظهر إشكالات أعمق بكثير.. فما هو مصدر الصفيحتين - حيث من خلالهما تتحول الجسيمات الافتراضية إلى حقيقية وتُظهر طاقة جذب -، أيضا الفراغ المذكور هنا هو فراغ كوانتي وهو فراغ اصطلاحي وليس العدم المُطلق.

أيضا طبقًا لمبدأ عدم اليقين لهايزنبيرج؛ فإن أي فراغ عندما نقيس طاقته يستحيل أن يكون صفرًا و يستحيل أن يكون أقل من ثابت بلانك، وأن هناك حد أدنى من الطاقة و بالتالى فليس هناك شيء اسمه فراغ حقيقى فى الكون، ولا يوجد شيء اسمه عدم تام من كل شيء.

بل إن هذا الفراغ الكمي بهذه الصورة التي يصوغها الملحد يُناقض قانون حفظ الطاقة وهو قانون من قوانين الكون و يستحيل انتهاك هذا القانون، فالنقطة الأساسية في كل الأحداث الفيزيائية هى أن الطاقة والزخم محفوظان فى كل التفاعلات، وبالتالي فإن نيافة الأنبا الملحد بهذه الصيغة يواجه قانون من قوانين الكون من أجل تسويغ إلحاده، و إيجاد مبرر عقلاني له وتمريره على السُّذج.

فالفراغ الكمي موجود داخل الزمان والمكان والمادة والطاقة أما الانفجار الكبير فلا زمان ولا مكان ولا مادة ولا طاقة.

أيضًا يفترض الفراغ الكمي حد أدنى من الطاقة zero-point energy كشرط أساسي وهذا عكس العدم تمامًا.

**المفاجأة:**

مؤخرًا أثبت العلماء أنه يوجد طاقة وجسيمات لا حصر لها داخل أقل وحدات القياس، وهذا الأمر استنتجه بول ديراك قديمًا في معادلاته وكان يُسميه بحر ديراك، بل إن أينشتاين نفسه تحدث عن هذا الأمر في عام 1916 حين قام بتلخيص النسبية العامة في بحث نُشر في مجلة annalen derphysic، وأوضح أن الفضاء ليس مجرد ستار تتجلى عليه الحوادث، بل هو نفسه بنية أساسية تتأثر بطاقة الأجسام التي يحويها وبكتلتها، فالفضاء مبني فيزيائيًّا ولا يوجد عدم

منذ الانفجار الكبير، فالفضاء والكون كله مبني بالجسيمات التي لا حصر لها ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: 47].

إذن الفراغ الكمِّي له ثلاثة شروط، لو تخلَّف واحد منها سيتحول إلى سراب ولن تظهر طاقة الفراغ.

**الشرط الأول:** لابد أن تخرج طاقة الفراغ من حد أدنى من الطاقة.

**الشرط الثاني:** لابد أن تكون مُحاطة بمادة حتى تتحول إلى جُسيمات حقيقية و إلا ستظل سرابًا.- الصفيحتين في هندسة كازيمير والكُرة في هندسة الزمكان -.

**الشرط الثالث:** لابد أن يجري كل هذا داخل حدود الزمان والمكان فالزمان والمكان شرط جوهري في ميكانيك الكم.

فالذي انتهى إليه العلم أن الكون كله جاء من العدم في لحظة.. وكل قوانين الفيزياء ظهرت في لحظة، وأنه لم يكن ثَمة فيزياء ثم ظهرت الفيزياء بعد... فسبحان بديع السماوات والأرض وخالقهما على غير مثالٍ سابق: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: 117].

## أديان كثيرة جدا ومعبودات بالآلاف والعمر قصير

الآن ننتقل لشبة لا علاقة لها بإلحاد الملحد لكنه يبرر بها عدم قبوله للحق متى تبين له، واستمراره في الكفر والجحود!

فالملحد يرى أن الأديان كثيرة جدًّا، والشرائع متفاوتة، والعمر قصير، فما يدرينا هل نحن على الحق أم غيرنا؟

ولذا آثرت أن أُفتت هذه الشبهة الساذجة في عشر نقاط فما أيسر الحق وأوضحه وأجلاه!

**أولاً:** يوجد على وجه الأرض ثلاث ديانات - يهودية ومسيحية و إسلام - يُشكل أتباعها أكثر من 65 % من سكان الارض.باقي الديانات وضعية لا حاجة حتى للرد عليها؛ لأنها

تعترف ببشريتها وهي في طريقها للإنقراض، وأتباعها يُصنفون في مراكز الأبحاث العلمية أنهم مُلحدون أو روحيون - بلا دين-.

إذن محك الجدال في الديانات الثلاث الكبرى لا أكثر؛

**اليهودية:** أقرت أنها ديانة قومية لا يدخلها إلى يهودي الأبوين - إذن محسوم أمرها باعترافها هي -.

**المسيحية:** أدخلت التثليث والأقانيم والآلهة البشرية في قلب عقيدتها ولم يقل المسيح يومًا: أنا الله أو اعبدوني أو أنا لاهوت وناسوت. لكن أتباعها أصروا على صورتها الوثنية المعاصرة.

فمثلًا كلمة «أُقنوم» لم ترِد في الإنجيل الذي بين أيدينا اليوم ولو مرة واحدة مع أنها أصل المسيحية، وبذلك تحولت المسيحية من ديانة سماوية إلى ديانة وضعية وثنية.

وفكرة الأقنوم تدور في إطار تعدد الآلهة، مع محاولة الحفاظ على نسق التوحيد الفطري حيث صيغة الثلاثة في واحد، فهم يقولون: أقنوم الابن الإله الكامل.. وأقنوم الآب الإله الكامل.. وأقنوم الروح القدس الإله الكامل... ومع ذلك لا يجوز أن يكون الإبن هو الآب، بل كل إله مستقل تمامًا عن الآخر... ومع ذلك هؤلاء الآلهة الثلاثة إله واحد.. وبداهة هذا منتهى الوثنية والتحدي لبديهيات العقل بسفسطة يونانية قديمة.

وعلى الرغم من كل ذلك فهذه الأفكار الوثنية يخلو منها الإنجيل تمامًا تمامًا.. إذن المسيحية انتقلت من السماوية إلى الوضعية الوثنية على يد مجامع صناعة الآلهة في عهد قسطنطين.

**ثانيًا:** الإسلام ليس فِرقة من الفِرق ولا عقيدة من بين عقائد الأرض، حتى يوضع في مجال مُقارنة بباقي الديانات.. بل هو أصل الأديان والعقائد والعبادات، وهو أنقى أديان التوحيد كما يقول جوستاف لوبون.

فالإسلام هو تصحيح لمسار الديانات التي انحرفت، و إعادة لنهج أنبياء العهد القديم من لدن آدم إلى نوح وصالح وأيوب وهود و إبراهيم وموسى وداوود و يونس وهارون وعيسى.. فعقيدة هؤلاء جميعًا هي عقيدة الرب إلهنا رب واحد بلفظ التوارة والإنجيل.. هذه العقيدة التي

لا تعرف تثليث ولا أقانيم ولا موت آلهة منتحرة، ولا انتزاع آلهة من آلهة أخرى - انتزاع الروح القدس من الآب - ولا آلهة قومية، يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء: 163].

إذن فالإسلام ليس ديانة كالديانات و إنما هو أصل الديانات، وتصحيح للخلل الذي أصاب الديانات وبالأخص اليهودية والمسيحية في نسختيهما العهد القديم والجديد.

**ثالثًا:** الإسلام أكثر أديان الأرض انتشارًا، وأكبر ست دول مسلمة في العالم غير عربية، ويُشكل المسلمون العرب قرابة 19 % فقط من المسلمين على وجه الأرض، ولا تكاد تخلو مدينة على وجه الأرض من مسلمين.

والإسلام قامت به الحجة على أنه الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده - كما سنسرد فيما بعد-.

**رابعًا:** مشكلة الملحد أنه يربط بين الديانات الوثنية الغارقة في الجهالة، بالديانة الإسلامية التوحيدية النقية - التي لا تحتمل الخطأ -، حتى يخرج من هذا الخلط بأن الجميع باطل فيشعر براحة بال واستقرار ضمير على إلحاده.

**خامسًا:** لكن الملحد سيقول هناك 73 فِرقة في الإسلام، أيهم الأقرب للحق وأيهما الأولى بالمتابعة في هذا الكم الغفير من الفِرق؟ خاصَّة وأن احتمالية الإلتحاق بالفرقة الناجية ربما تقارب 1.3 بالمائة من مجموع الفرق.

**في البداية؛ هذا كلام يحمل عدة أخطاء:**

**الأول:** انقسام المسلمين إلى 73 فِرقة هذا دليل نبوة؛ لأن النبي ﷺ أخبر بذلك، وأخبر أن الأُمة ستنقسم، مع أنهم في عهده كانوا يُقتلون ويُحرقون على رمال الصحراء دون أن يردهم ذلك أو يُفرق جماعتهم.

**الثاني:** المسلمون الآن يُشكل أهل السنة والجماعة منهم 91 % والشيعة 8 % و1 % فِرق أُخرى.

والخلاف بين السُّنة والشيعة؛ هو اختلاف في حب بعض أصحاب النبي ﷺ هذا هو أول الخلاف ونهايته بعيدًا عن ساسة الصفويين وأحقاد المجوس.

إذن الافتراق إلى 73 فِرقة لا يعني أن لكل فرقة 1.3 % فهذا غباء مدقع.

الافتراق صورته الحالية هي 91 % أهل سُنة وجماعة والشيعة 8 % و1 % فِرق أُخرى.

ولا فرق بين السنة والشيعة في أصل العقائد إلا ما أدخله ساسة الصفوية. يقول المفكر الإيراني علي شريعتي فيلسوف الثورة الإيرانية: «ولو خرجت كل المظاهر الدخيلة علي التشيع فلن يبقي هناك أي خلاف يذكر بين مذاهب الإسلام».

والفِرق الضالة لا يعني دخولها في النار خلودها فيها بل هم كعصاة المؤمنين إلا الذي يقترف بدعة كُفرية.

سادسًا: أما بخصوص غير المسلمين فإن الله لن يظلم عباده... قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: 108]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46]، ويقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: 15].

الذين لم تُقم عليهم الحُجة في الدنيا ستُقام يوم القيامة.

ويوم القيامة مدته 50 ألف سنة.... أي أطول من عمر البشرية كله...فلا ينزعج الملحد ولا يقلق إلا على نفسه، فالدنيا والآخرة مسار واحد، ثم جنة أو نار، لا فرق بين الامتحان في الدنيا أو في الآخرة، فالآخرة يمكن تسميتها البلوغ التكليفي لأهل الفترة!

**سابعًا:** الملحد الذي يستخدم حُجة تعدد الديانات ليُلحد.. نسأله: **هل كفر غيرك يبرر لكُفرك؟**

للأسف هذا ما فعله فرعون من قبل. عندما قال لموسى: يا موسى لن أؤمن لك لأن الكفار موجودون منذ القِدم وكثيرون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [طه: 51].

هذه حجة جهلاء بكماء وسُبحان الله تنطلي على كثيرين، مشكلة الملحد أو الربوبي أنه يفرح بموضوع كثرة الديانات، ويتخذ الأمر ذريعة لكُفره وقلة أدبه مع خالقه ورازقه،

ويتخذ الأمر ذريعة لترك البحث في مُقتضى وجوده ويظن أنه بذلك استطاع أن يجد مبررًا للهروب بشنيعة كفره.

**ثامنًا:** لكن تبقى مشكلة سيقول الملحد: ما المانع أن يكون أحد آلهة تلك الديانات الوثنية الأرضية الوضعية البدائية هو الإله الحقيقي؟

وهذا خطأ شديد وخطل خطير، فلا يوجد معبود في جميع ديانات الأرض إلا الله. وخلافنا مع بقية الأديان ليس لأنهم لا يعبدون الله، ولكن لأنهم جعلوا لله شركاء في الدعاء والطلب والتصرف في الكون.

فجميع أديان الأرض تعبد الله وهو عندها الخالق العظيم، حتى أكثر الديانات إغراقًا في الوثنية؛ لكنهم جعلوا له شركاء متشاكسون نسبوهم للخالق واعتبروهم أدنى منه منزلة - آلهة صغيرة - Subordinationism.

ففي الكعبة مثلًا ذلك المكان الصغير كان يوجد ثلاثمائة وستون صنمًا، هُدمت كلها يوم فتح مكة.. لكن هذه الأصنام كانت تُتخذ وسائط متعددة لإله واحد، قال القرآن على لسانهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3].

ما يعبدونهم إلا تقربًا وواسطة إلى الله، وقد ألغى الله الواسطة بينه وبين خلقه على لسان جميع أنبيائه، ولذا يقول تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [لقمان: 25].

يقول الشهرستاني عن أوثان العرب قديمًا: «أما الأصنام فلم يكن العرب يعبدونها لذاتها، ولم تكن عندهم مجرد قطعة من حجر».

بل إنه يوجد في الهند قريبًا من أربعة آلاف من الآلهة، وهذا لا مثيل له في العالم، ومع ذلك يُنظر لهذه الكثرة الكاثرة من الآلهة أنها صور وتجسيدات للكائن الواحد الأعلى - الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ -، وهذا ما ذكره التقرير المرفوع إلى الحكومة البريطانية في الهند وفيه أن: النتيجة العامة التي انتهت إليها اللجنة من البحث هي أن كثرة الهنود الغالبة تعتقد عقيدة راسخة في كائن واحد أعلى[1].

(1) قصة الحضارة للملحد [ول ديورانت] مجلد 3 ص 209.

ويرى [ول ديورانت] أن هذه الألوف من الآلهة هي نفس ما تفعله الكنائس المسيحية من تقديس لآلاف القديسين فلا يتطرق إلى ذهن الهندي ولو للحظة واحدة أن هذه الآلهة التي لا حصر لعددها لها السيادة العليا[1].

المصدر السابق.

ولذا فقد كان النزاع بين الرسل وأقوامهم في توحيد الألوهية « إفراد الله بالعبادة «، لا في توحيد الربوبية «إفراد الله بالخلق»، ولهذا لم يَرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن ظن في عباد الأصنام أنهم كانوا يعتقدون أنها تخلق العالم أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات أو تخلق الحيوان أو غير ذلك، فهو جاهل بهم بل كان قصد عباد الأوثان لأوثانهم من جنس قصد المشركين بالقبور للقبور المعظمة عندهم»[2].

فتوحيد الله فطرة البشر جميعًا، والجميع يؤمنون بالخالق، فالغريزة الدينية التوحيدية توجد في كل الأعصار والأصقاع وهي إحدى النزعات الخالدة للإنسانية.

تاسعًا: طالما أنه منذ البدء والتوحيد هو الأصل لماذا علم الآثار - الأركيولوجي - والحفريات يُخبروننا بعكس ذلك؟

إجابة هذا السؤال بسيطة للغاية، وهي أن الموحدين لا يصنعون تماثيل ولا أيقونات ولا معابد.. فالذي يقرأ التاريخ عبر التماثيل والأيقونات سيقرأ تاريخ الوثنيين الذين جعلوا مع الخالق آلهة صغيرة.. وهذا مصدر ضلال الملحدين في البحث!!

ولذا يرى [لانج] و[باسكال] و[شميث] و[بروس] و[كوبرز] وغيرهم وهؤلاء من كبار الباحثين في أصول الأديان أن التوحيد كان أولاً، وأن كل معبودات الوثنيين جاءت كمرحلة تالية لعبادات توحيدية يُعبد فيها الله الواحد الأحد، فالتوحيد كان أولًا ثم الوثنية والتعددية تأتي في مرحلة لاحقة.

المصدر: andrew lang: the making of religion

(1) المصدر السابق.
(2) مجموع الفتاوى 1/ 359..

**عاشرًا:** زميلنا الملحد لا يدرك أن الفِرق الإلحادية لا حصر لها، وكل فرقة إلحادية تلعن أُختـها فهناك:

إلحـاد شيوعي

إلحاد علماني

إلحاد ليبرالي

إلحاد سلبي

إلحاد إيجابي

لاديني إلوهي

لاديني متوقف

لاأدري وقتي

لاأدري دائم

strong atheism

weak atheism[1]

والإلحـاد الشيوعي ينقسم بدوره إلى

إلحاد شيوعي لينيني

إلحاد شيوعي ماوي

إلحاد شيوعي ستاليني

إلحاد شيوعي بلانكي

إلحاد شيوعي تروتسكي

(1) ( ) http://commonsenseatheism.com/?p=6487

والإلحاد الشيوعي؛ ينقسم إلى آلاف الفِرق وكما يقول الشيوعي الشهير مكسيم لوروا في كتابه «رادة الاشتراكية الفرنسية» يقول: «لا شك في أن هناك اشتراكيات متعددة، فاشتراكية بابون، تختلف أكبر الاختلاف عن اشتراكية برودون، واشتراكيتا سان سيمون وبرودون، تتميزان عن اشتراكية بلانكي، وهذه كلها لا تتمشى مع أفكار لويس بلان، وكابيه وفورييه، وبيكور، وإنك لا تجد داخل كل فرقة أو شعبة إلا خصومات عنيفة، تحفل بالأسى والمرارة».

هذا في فرنسا وحدها فما بالنا بتفريعات تروتسكي وستالين وماو وبول بوت وكوريا الشمالية، وآلاف التفرعيات والإنشقاقات الأُخرى.

وهكذا كل فرقة من الفرق الإلحادية تنقسم على نفسها، وتتشظى وتتفتت إلى ما لا نهاية، والعلمانية الإلحادية تنقسم إلى:

إلحاد علماني سطحي

إلحاد علماني مستنير

إلحاد علماني متعمق

إلحاد علماني نضالي

إلحاد علماني صراعي

إلحاد علماني منفتح

إلحاد علماني فعلي

إلحاد علماني جديد

إلحاد علمانية واقعي

والعلمانية الفاشية fascist-secularism في تركيا

وكلها علمانيات متنازعة ومتضاربة وتحارب بعضها بعضًا

وظهرت في الغرب مصطلحات

إلحاد رأسمالي رشيد

إلحاد رأسمالية حقيقي

إلحاد رأسمالي شكلي

إلحاد رأسمالي منبوذ

وعلمانية فرنسا تختلف تمام الإختلاف عن علمانية هولندا، وكلاهما لا تمتان بصلة لعلمانية أمريكا، وعلمانية الصين كأنها دين آخر تمامًا، وهكذا.

وجنة الملحد الشيوعي لن يدخلها الملحد الليبرالي..

والإلحاد الشيوعي يرى ضرورة تصفية الإلحاد الرأسمالي جسديًّا كما في وثيقة الكولاك لزعيم البلاشفة لينين.

وداخل الإلحاد الشيوعي كل طائفة تزعم أنها الحق المُطلق، وستالين يقوم بتصفية تروتسكي -ثالث أكبر مُنظر للشيوعية في العالم-، بدافع الحفاظ على الشيوعية الإلحادية اللينينية.

وكوريا الملحدة الشيوعية الشمالية؛ ترى أن كوريا الرأسمالية الجنوبية خطر على العالم يجب سحقه.

وكل الصراعات الأوربية في القرن الأخير والتي راح ضحيتها ربع سكان أوربا كانت علمانية إلحادية 100 % ولم يدخل فيها حزب ديني واحد.

وظهرت مدرسة الداروينية الإجتماعية Social Darwinism التي تعني أن الأقوى يسيطر ثقافيًّا وفكريًّا وبيولوجيًّا، والضعيف ينسحب بهدوء إلى أن يموت. وهي مدرسة القتل البطيء للآخر طبقًا للتنظير الداروينى ورؤيته للجنس البشري.

وظهر هربرت سبنسر مُنظر الإلحاد الداروينى في القرن التاسع عشر، والذي أكد على ضرورة القتل البطيء للجنس البشري حيث يقول بالحرف: «فإن فكرة وسائل الوقاية الصحية وتدخل الدولة في الحماية الصحية لمواطنيها وتلقيحهم، تعارض أبسط بدهيات الانتخاب الطبيعي، إن مساندة الضعفاء أو محاولة حماية المرضى والحرص على بقائهم، يتأتي في تحدٍّ صارخ لقانون الطبيعة»[1].

(1) Social Status, p.41 415

وهكذا تحول الإلحاد إلى آلة قتل باردة ضد الآخر، حتى ولو كان مُلحدًا طالمًا لا ينتمي لنفس الطائفة والعنصر والجنس، وكانت النتيجة مقتل ربع سكان أوربا في مجازر حربين عالميتين لا تمُتّان بصلة لأي دينٍ من الأديان[1].

**والحمد لله رب العالمين.**

## لماذا الشر موجود؟

**المصائب والزلازل والبراكين والشرور في هذا العالم!**

**يتساءل الكاهن الملحد: لماذا الشر موجود؟**

**ونحن نقول: إن الشر أكبر دليل على وجود الله!**

الخير والشر موجودان وشاء الله وجودهما.... امتحانًا واختبارًا

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: 35].

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: 2].

إذن الخير والشر موجودان لأننا في دار امتحان.

مشكلة الربوبي والملحد أنه يعترف بوجود الشر، ويعترف أن وجوده مُعضلة، فليس ثمة مبرر لوجوده إلا في الإطار الديني!

الإطار الديني هو الوحيد الذي يُقدم التفسير.

لكن السؤال: **لماذا نقول أن الشر أكبر دليل على وجود الله؟**

الشر أصلًا غير مُستوعب وغير مُدرك، إذ لو كان الإنسان ابن الطبيعة أو ابن المادة، وتجري عليه قوانين الطبيعة الحتمية، فلن يدرك وجود الشر، ولن يستوعب ماهية الشر ولا معنى كلمة شر، فهل تُدرك أكثر الحيوانات تطورًا - طبقا للدارونية - معضلة الشر؟

(1) بعض الاحصائيات الواردة في المقال صادرة عن مؤسسة بيو الأمريكية لأبحاث الأديان والمُعتقدات http://www.pewforum.org/

فاستيعاب الشر يعني أننا لسنا أبناء هذا العالم، وأننا نبحث عن عالم كلي الخير، وفي هذا الحُجة الأولى والأقوى للدين.

يقول [إس. سي. لويس]: «وقد كانت حُجتي ضد الله أن العالم بدا في منتهى القسوة والظلم.. ولكن كيف حصلت على مفهوم الظلم والعدل هذا؟

إن المرء لا يصف خطًّا بأنه غير مستقيم إلا إذا كانت لديه فكرة ما عن ماهية الخط المستقيم.. فبماذا كُنت أُقارن هذا العالم لما دعوته غير عادل؟

وإذا كان العرض كله سيئًا وتافهًا من الألف إلى الياء إذا جاز التعبير، فلماذا وجدت أنا نفسي في ردة فعل عنيفة هكذا تُجاهه، مع أني من المفترض أن أكون جزءًا من العرض؟

إن الإنسان يشعر بالبلل عندما يسقط في الماء؛ لأنه ليس حيوانًا مائيًّا، أما السمكة فما كانت لتشعر بالبلل.

وكان من شأني طبعًا أن أتخلى عن مفهومي للعدل بمجمله بقولي أنه ليس شيئًا سوى فكرة خاصة من بنات أفكاري، ولكن لو فعلت ذلك لانهارت أيضًا حجتي ضد الله؛ لأن رُكن تلك الحجة كان القول بأن العالم غير عادل فعلًا، وليس فقط أنه لم يصدف أن يُرضي ميولي.

وهكذا ففي محاولتي إثبات عدم وجود الله، تبين لي في ذلك الفعل ذاته حقيقة وجوده؛ لأن الإنسان بإنكاره وجود العدل في فعلٍ ما يُرغم على التسليم بوجود مفهوم العدالة، وبناءًا على ذلك يتبين أن الإلحاد ساذج جدًّا.

ولو كان الكون كله عديم المعنى لما كان قد تبين لنا إطلاقًا أنه عديم المعنى.

فالوضع شبيه تمامًا بهذا: لو لم يكن في العالم نور، ولم تكن في العالم مخلوقات لها أعين لما كُنا نعرف قطعًا أن الظُلمة مسيطرة ولكانت الظُّلمة كلمة عديمة المعنى».

C.S. Lewis response

إذن الشر هو أكبر دليل على أننا لسنا أبناء هذا العالم، وأن المقدمة الدينية هي الوحيدة التي تملك التفسير والمعنى والقيمة!

لكن الملحد يتردد مرةً أخرى ويقول: « علم الله كلي إذن المفترض أنه يعلم ماذا سنفعل. لماذا إذن يُدخلنا في هذه التجربة وهو يعلم أن الكثيرين منا سيضلون؟».

**أولاً:** لا يوجد عاقل يكفر بوجود الله؛ لأن علم الله كلي إلا الملحد!!

**ثانيًا:** هل علم الله الكلي يمنع أن يتيح لنا الفرصة لنُقيِّم أنفسنا، ونرى بعين اليقين أننا نستحق الجنة أو النار؟ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3].

**ثالثًا:** لو قال الملحد... لكني لا أُحب هذا الاختبار وأُريد أن أخرج منه حالاً... إذن اترك الحياة التي وهبها لك هذا الخالق ومِت الآن!.. وصدقني لن تفعل وستتمسك بالدنيا، فطالما استسلمت للاختبار فعليك أن تعمل بأقل مقتضياته، وهو شكر الذي خلقك ووهبك كل هذه النعم.

والله سبحانه أخبرنا أنه لن يترك الكافر، فالكافر الذي كفر بأبسط البدهيات وهي خلقه وتجرأ على الله وجحده واستكبر وأجرم، لن يمر بشنيعة كفره ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: 43].

**لكن هل الله يحتاج للشكر والعبادة؟**

الله غني عن العالمين، لكنه يعلم أن عباده لن يصلحهم إلا عبادته، ونحن نعلم جميعًا أنه بقدر ابتعاد الإنسان عن الله بقدر استحلاله للمحرمات؛ لأنها أصلًا لم تعد عنده محرمات. وحتى لو لم يرتكبها فإجازته لارتكابها أعظم شناعةً من ارتكابه لها.

إذن مشكلة الكافر هي مشكلة كل طالب فاشل. ووقت الامتحان المُلحد يُنكر وجود الأُستاذ، ووقت النتيجة الربوبي يُنكر وجود الامتحان، لكن المعيار لا يضعه الطالب الفاشل ولا الخايب. الذي يضع معيار الامتحان هو الأُستاذ - ولله المثل الأعلى-.

وقد قضت الحِكمة الإلهية أن يُختبر الإنسان فيما هو دون ذكائه الفطري بكثير، ومع ذلك فشل في الاختبار خلق كثير ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 10].

فلا يوجد شيء يسمى شر في العالم المادي، و إلا فكيف تبحث عن حل لمشكلة الشر؟

كيف أصلًا تشعر بوجود الشر؟

كيف تتمرد على قوانين الطبيعة المادية الحتمية؟

إذا كان الإلحاد صحيحًا فيستحيل أن تشعر بالشر، فداخل العالم الإلحادي لا يوجد معنى مادي للشر أو الظلم، فالشر أو الظلم هو وضع الشيء في غير محله، ومحل الأحداث في عالم

الإلحاد هو نفس المحل الذي تحدده القوانين الفيزيائية، وبما أنه لا توجد ذرة تخالف تلك القوانين. إذن كل حدث في الكون المادي قد وُضع في محله المادي، ولذلك المفترض ألا يوجد في المجتمع الإلحادي ولا في الكون المادي ظلم أو شر.

ودماغُ الإنسانِ بما فيه من نشاطٍ عصبيٍّ لا يخطئُ ماديًّا، بل يتبعُ كلَّ القوانينِ الفيزيائيةِ الصحيحةِ ولا يتمرد على سُننِها و إذا قلنا بوجود الشر أو الظلم، فهذا دليلٌ قاطعٌ على أن المسئولَ عن الخطإِ وأيضًا المرجع الذي به حكمنا على خطئه ليس تفاعلاتٍ ولا قوانينَ مادية، وهنا سنعود إلى ميتافيزيقيًّا الأخلاق، فإن ادعى الملحدُ أن ما يحتكمُ إليه الإنسانُ من قيمٍ وأخلاق «ما هي إلا قوانينٌ وضعيةٌ نتجت عن حالاتٍ نفسيةٍ وعاداتٍ وتقاليد». نجيبُه: لكنك لا تؤمنُ أنها حالةً نفسيةً للروح بل هي حالةٌ ماديةٌ لا يمكنُها أن تُخَطِّئ حالةً ماديةً أخرى، فحتى تناطحُ الذراتِ هو تصرفٌ لا خطأ فيه ما دام موافقًا للقوانين الفيزيائيةِ الصحيحة.

**(السلوك المادي السليم للذرة في الدماغ) + (السلوك المادي السليم للذرة في الدماغ) +..... = سلوك مادي سليم في الدماغ.**

فمن أين أتت إذن تلك المعاني الخاطئة التي يُمثلها ذلك السلوك المادي السليم؟

الآن هل توجد دالة تربط بين (سلوكيات المادة في الدماغ) وبين (القيم الأخلاقية)؟ إذا قلنا بوجود الدالة فقد عدنا للميتافيزيقيا من أوسع أبوابها، و إن لم يكن ثَمة دالة فلن تقنع أحدًا بوجود الشر أو الظلم وستنهار الفكرة الإلحادية نفسها.[1]

فالشر واستيعابه أكبر دليل على وجود الله، وعلى صحة القضية الدينية والتكليف الإلهي!

## لماذا الكون بهذه الضخامة

### والأرض بهذه البساطة والتفاهة بالنسبة لحجم الكون؟

**أولاً:** هل الله تعنيه الأحجام مثلنا نحن البشر؟ لماذا يحاول الملحد في كل أطروحاته أن يؤنس الإله؟ هل الله يهتم بالفيل ولا يهتم بالنملة لفارق الحجم المليوني مثلاً؟

(1) الفقرات الأخيرة مُقتبسة من منتدى التوحيد ببعض التصرف والإضافات.

**ثانيًا:** السماوات والارض مصدرهما نقطة أصغر من رأس الدبوس أليس كذلك يزعم كل فيزيائيي العالم طبقا للبيج بانج؟

**ثالثًا:** الحجم نسبي ولو تحولت المجموعة الشمسية كلها إلى ثقب أسود فلن تتجاوز حجم حجر صغير، حجم الأرض 0.9 سنتيمتر مكعب.

**رابعًا:** لو حدث أن كل شيء حولنا زاد ألف ضعف هل سنكتشف الأمر؟ هل سيتغير شيء؟ طبقًا للنسبية العامة لا شيء البتة سيتغير ويستحيل اكتشاف الأمر إلا لو تغير طول ثابت بلانك مليار مليار مليار ضعف ساعتها ربما نكتشف الأمر -بسبب ظاهرة الحيود والتداخل بين الأجسام-.

إذن القضية ليست بالأحجام ولا الحكم على الأشياء يكون بالأحجام والأوزان والأثقال.

القضية هي إدراك هذه الأشياء واستيعابها، والآن:

هل ثمة شيء يستوعب هذه العلاقات بين الأحجام إلا الإنسان؟

هل ثمة شيء يدرك الفوارق إلا الإنسان؟

هل ثمة شيء يدرك القوانين وضخامة الأفلاك وعظمة الخلق وروعة الإعداد بعناية إلا الإنسان؟ هل ثمة شيء يدرك أن الوردة حمراء وبديعة التنسيق والجمال غير الإنسان؟

هل ثمة شيء يدرك مدارات الأفلاك وعظمة الخلق وروعة المنظومة الفيزيائية التي تحكم الكون غير الإنسان؟

هل ثمة شيء يدرك مخاطر الانفجارات النجمية في مجرة [أندروميدا] مثلًا إلا الإنسان؟

هل ثمة شيء يهتم بأحداث الفضاء ومدارات الأفلاك غير الإنسان؟

إذن لا يختلف العلماء على أن الإنسان مركز الكون إدراكيًّا وسيكولوجيًّا وحديثًا فيزيائيًّا ومنذ الأزل دينيًّا.

## الهوس الجنسي عند العرب؛
## أُسطورة يروج لها الملاحدة ويصدقها الإعلام

الهوس الجنسي عند العرب شديد.

و يستدل الملحد بـ:

1- أكبر نسبة تحرش في العالم توجد في مصر.

2- الدول الإسلامية أكثر الدول بحثًا عن كلمة sex في جوجل.

3- الكبت الموجود في العالم الإسلامي، مصدر رئيس لهذا السُّعار الجنسي.

**الرد:**

الهوس الجنسي عند العرب، أُسطورة قذرة ودعاية حمقاء، يروج لها ملاحدة خبثاء، و إعلام عميل، ومسلمون سُذج.

والميل الجنسي في أصله غريزة طبيعية خلقها الله وجعلها دافعًا للحفاظ على النسل، لكن نمط حياتنا - الذي أصبح مُقلدًا للغرب- صار يفترض في حياة كل شاب عربي بضع سنين يقضيها في اللهو الحرام قبل أن يظفر بنكاحٍ صحيح، ومع هذا كان رادع الدين في بلادنا العربية يمثل حائط صد جوهري ضد الزنا والاغتصاب والشذوذ، فلولا الدين كما يقول فولتير لسرق الخادم وخانت الزوجة.

**الاغتصاب:**

ولذا فأقل دول العالم هوسًا بالجنس الحرام، هي -بفضل الله- الدول الإسلامية، وأقل دول العالم ارتكابًا لفاحشة الزنا على الإطلاق هي الدول الإسلامية، وأقل دول العالم ارتكابًا لفاحشة الشذوذ الجنسي على الإطلاق هي الدول الإسلامية، ولذا فأقل معدلات اغتصاب توجد في البلدان الإسلامية حصريًّا..

وهذه قائمة بالدول التي توجد بها أعلى معدلات اغتصاب في العالم بالترتيب في العام 2015[1]:

(1) http://www.worldblaze.in/top- countries-with-highest-.rape-crime-in-the-world-2015/

بلجيكا

تايلاند

روسيا

السويد

ألمانيا

كندا

المكسيك

جنوب أفريقيا

الهند

أمريكا

أما الدول الإسلامية فهي أقل دول العالم ارتكابًا للاغتصاب على الإطلاق.

وتكاد تخلو الدول التالية من الجريمة عمومًا[1].

باكستان

السعودية

اليمن

إذن الهوس الجنسي قرين حصري بالدول الغربية العلمانية عالية التقانة، وليس بالدول الإسلامية.

نُكرر مرةً أخرى -بفضل الله- الهوس الجنسي قرين حصري بالدول الغربية العلمانية عالية التقانة، وليس بالدول الإسلامية.

طبعًا هذا على العكس تمامًا مما يروج له كهنة الإلحاد والعلمانية.

(1) http://www.nationmaster.com/graph/cri_rap-crime-rapes

**مرض الإيدز:**

ومن دلائل ذلك أن مرض الإيدز AIDS الذي يعاني منه 36 مليون نسمة في العالم، والذي يُصيب سنويًّا مليونين ونصف من البشر، يوجد بأقل معدلاته على الإطلاق في الدول الإسلامية، وتكاد الدول الإسلامية تكون خالية بأكملها من المرض باستثناء بعض المهاجرين للدول الأوربية وأمريكا.

و يعادِل تواجد الإيدز الصفر تقريبًا في أغلب الدول الإسلامية - الخليج العربي والبوسنة والهرسك وتركيا وأندونيسيا ومصر وليبيا والعراق وأفغانستان وتركمانستان، إلخ..-.

**الشذوذ الجنسي:**

أما عن الشذوذ الجنسي Homosexuality فإن 20 %من الغربيين عندهم أفكار شذوذ جنسي[1].

وفي مسح إحصائي شمل 39 دولة، حول قبول فكرة الشذوذ الجنسي تبين أن 80 % من الغربيين يتقبلون فكرة الشذوذ الجنسي... في حين أن النسبة في الدول الإسلامية لا تتجاوز 1 %[2].

بل لقد تجاوزَت الدول العلمانية عالية التقانة الحدود في الهوس الجنسي، وصارت تطالِب رسميًّا بإتاحة الشذوذ الجنسي بين الرجال والأطفال، وظهرت جماعات كبرى مثل النامبلا NAMBLA التي تُنادي بإلغاء حاجز السن بين الشواذ جنسيًّا... وبالفعل المنظمة ناجحة تنظيريًّا، وللمنظمة اجتماع سنوي بنيويورك واجتماعات تُعقد شهريًّا بصفة منتظمة بالولايات المختلفة[3].

The North American Man/Boy Love Association NAMBLA

ومن عجائب ما يُذكر أنه في حرب الخليج الثانية كانت التعليمات المباشرة للجنود الأمريكان، إذا رأيت سعوديين يُشبِّك أحدهما في يد الآخر فهذا طبيعي عندهم[4].

(1) http:// en.wikipedia.org/wiki/Homosexuality

(2) http://www.pewglobal.org/2013/06/04/the-global-divide-on-homosexuality/

(3) http://nambla.org

(4) https://www.youtube.com/watch?v=M_CX-JjGFO8.

وفي سويسرا يسير الاتجاه رسميًّا الآن، نحو تفعيل قوانين تُبيح زنا المحارم.

هل ما زال الملحد مُقتنعًا بأُسطورة الهوس الجنسي عند العرب؟

لكن ماذا عن أكبر نسبة تحرش في العالم توجد في مصر؟

هذه أحد أكاذيب وتلفيقات الملحدين العرب والعلمانيين العرب؛ لأن التحرش لم يُعرَّف عالميًّا حتى الآن، ففي مصر النظرة والابتسامة ربما لهما دلالات تحرش ويُصنَّف أصحابهما في قوائم المتحرشين جنسيًّا، وبداهةً السقف في الدول الأجنبية مرتفع جدًّا، وربما يوصف الفجور بأنه لباقة في التعاطي مع الجنس الآخر، فكيف توضع هكذا إحصاءات دون تحديد دلالاتٍ واضحة؟

وإذا نظرنا للتحرش الجنسي في العالم فإن السويد كالعادة تأتي في المرتبة الأولى بنصيب الأسد، وفي أُستراليا وحدها تبلغ تكلفة التحرش الجنسي11 بليون دولار[1].

أما بخصوص أن الدول الإسلامية أكثر الدول بحثًا عن كلمة sex في جوجل.

يبلغ عدد المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت 4.2 مليون موقع، يعمل بها حوالي 9 مليون امرأة أجنبية، تُدِر حوالي 12 مليار دولار أمريكي، تأتي الولايات المتحدة في قائمة أكثر البلدان امتلاكًا لصفحات جنسية، تليها ألمانيا، ثم المملكة المتحدة، ثم استراليا واليابان وهولندا ثم روسيا وبولندا وأسبانيا، وهذه المواقع ربحية في المقام الأول، وبالتالي هي مُوجهة رأسًا نحو المستهلك الأوربي والأمريكي.

ولسنا بحاجة إلى إثبات أن نسبة المواقع العربية الإباحية أمام 4.2 مليون موقع = الصفر تقريبًا.

ولن ندفن رءوسنا في الرمال ونقول إننا لا نتعاطى مع هذه المواقع الأجنبية، فنحن بشر وأصحاب غرائز وذنوب، خاصةً وأن الفئة العمرية التي تتعامل مع الإنترنت في البلدان العربية هي الفئة الشبابية، لكن فرق جوهري بين مَن يرى أن تصفح المواقع حق تجب الدعاية والترويج له ويتربح من خلالها، وبين مَن يعتبرها خصلة دنية يستغفر الله بعدها وينوي ألا يعود.

(1) http://www.thelocal.se/20090427/19102

وعندما بحثت أنا في مسألة أن الدول الإسلامية أكثر الدول بحثًا عن كلمة sex في جوجل، تجاهلت المواقع العربية الصفراء، واتجهت رأسًا إلى جوجل، أبحث داخله عن أهم نقاط البحث للعام الماضي في ثلاث بلدان عربية وهي مصر والسعودية والإمارات، وكانت النتيجة:

**مصر:**

1- أحداث بورسعيد borsayed indicants.

2- اللجنة العليا للإنتخابات higher elections commision.

3- تنسيق الجامعات 2012.

4- ميدان التحرير tahrir sqr.

5- حزب النور noor party.

6- بورما Borma.

7- الحرية والعدالة justice and freedom party.

8- محاكمة مبارك Mubarak trial.

9- انتخابات الرئاسة Presidential elections.

10- مشروع النهضة development project.

**السعودية:**

1- نتائج الطلاب students results.

2- التأمينات insurance.

3- عرب ايدول Arab idol.

4- مسلسلات رمضان 2012 Ramadan episodes 2012

5- محمد مرسي Mohammad Mursi.

6- انفجار الرياض Riyadh Explosion.

7- بورما Borma.

8- الجيش السوري الحر free Syrian army.

9- مجلس الشوري Shura counsel.

10- إعصار ساندي Sandi storm.

**الإمارات:**

1- Gangnam Style

2- iPad

3- Olympics 2012

4- Samsung Galaxy S3

5- The Avengers

6- Skyfall

7- Hurricane Sandy

8- مسلسلات رمضان 2012 Ramadan episodes 2012

9- KONY 2012

10- الثورة السورية Syrian Revolution[1].

أما عن الكبت الموجود بالعالم الإسلامي، وأنه مصدر رئيس لهذا السعار الجنسي.

فقد تبين في ثنايا هذا المقال مدى سخافة تلك الأُسطورة التي تربط بين الكبت والسُّعار الجنسي، فأكثر الدول إباحيةً هي أكثرها سُعارًا في الجنس على الإطلاق، وأقلها إباحية هي أقلها

(1) arabcrunch.com/2012/12/top-google-search-trends-in-egypt-uae-and-saudi-arabia-in-2012.html

سُعاراً، وقد أثبتت دراسات الطب النفسي السلوكي أن ضبط الغرائز يؤدي إلى تهذيبها، في مقابل أن إفلاتها يجعلها تتحول إلى فيضان كاسح.

ولا أدري كيف انقلبت الآية عند الملحد والعلماني وصاروا يُروِّجون للعكس، ربما هم يؤمِّلون شيوع الفاحشة في بلادنا الإسلامية، فيكذبون من أجل ذلك ويخترعون أسطورة الربط بين السُّعار والكبت.

فطِبقًا لطب النفس السلوكي فإن الرجل الأوربي يُفكر قي الجنس كل 6 دقائق، و42 % من البريطانيين يقيمون علاقة مع أكثر من شخص في نفس الوقت، بينما 50 % من الأمريكيين يقيمون علاقات غير شرعية (أي مع غير أزواجهم)![1].

وفي أمريكا وحدها يقتل الإجهاض أكثر من مليون طفل سنويًّا[2].

وعندما حاولت فرنسا منذ فترة قريبة تقنين أوضاع بيوت الدعارة بها، خرجت ثورة كبرى، وأَغلقت العاهرات الشوارع، ورفعن لافتات sex=work وsex is work واضطر المُشرِّع أن ينزل على رغبة العاهرات، وفي إسرائيل أكبر المظاهرات في الخمسين عامًا الأخيرة هي حصرية للشواذ جنسيًّا ولطلباتهم التي لا تنتهي، وأكبر نسبة من التظاهرات في أوربا وأمريكا متعلقة مباشرةً برغبات جنسية وطلبات زيادة وجبات إباحية، أو تسهيل زواج مِثلي، أما مُظاهرات العُراة فلا تكاد تخلو منها مدينة أوربية، ومؤخرًا سمحت السويد رسميًّا بحق الاستمناء في الأماكن العامة[3].

## الخاتمة:

وهكذا يتبين لنا فداحة خطأ تلك الأُسطورة التي تربط بين الهوس الجنسي والعرب، أو بين الهوس والمتدينين، إنها أُسطورة ذائعة الصيّت، واسعة الانتشار، مقبولة لدى قطاع عريض جدًّا من السُذَّج والحمقى والمُغفلين.

(1) http://news.bbc.co.uk/2/hi/uk_news/177333.stm

(2) http://www.cdc.gov/mmwr/preview/mmwrhtml/ss5511a1.htm

(3) http://www.dailymail.co.uk/news/article-2424416/Swedish-court-rules-IS-legal-masturbate-public-directed-specific.html

إن القاعدة الفطرية البدهية التي نخرج بها من هذا المقال، ومن الإحصاءات الرسمية التي أوردناها، ومن المسح السلوكي لأخلاقيات المجتمعات تتلخص في أن «المرء إذا هوى دينُهُ فإنه يُقاد من فَرْجه وبطنه، أكثر مما يُقاد من عقله وضميره».

## الرق - السبي- العبودية

**معلومات أولية لابد أن تعرفها في هذا الملف:**

**أولاً:** العبودية هي مرحلة أساسية في تاريخ الجنس البشري، ومن مقتضيات عصور بشرية أصيلة.

**ثانيًا:** لا يوجد في تاريخ البشرية ديانة ولا فلسفة ولا مذهبًا ولا فِرقة إلا وأجازت الرق واعتبرته بديهة وجودية.

**ثالثًا:** اختفاء الرق في القرن الماضي كان فقط لظهور المكائن - الآلات التي حلت محل البشر - و إلا فالرق كان وسيظل موجودًا ما وُجد الإنسان.

**رابعًا:** لا يوجد مانع ديني ولا أخلاقي ولا مادي ولا علمي ولا فلسفي ولا إلحادي يمنع من ممارسة الرِق بمفهومه الإسلامي -الذي هو أقرب للتبني- كما سنبين بعد قليل.

**خامسًا:** لم يتوقف الرق فجأةً لضجر العبيد أو لرهافة إحساس الأسياد، ولكن فقط نتيجة استغناء مباشر عن العبيد بالمكائن التي ظهرت في القرن الماضي.

**سادسًا:** لم يعرف التاريخ ناقدًا للعبودية على طول الخط وانتهاء العبودية جاء فقط كنتيجةٍ بديهيةٍ لعدم الحاجة إليهم، ولذا قال نيتشه: «لو أمطرت السماء حرية لأمسك العبيد مظلات».

**وفلاسفة الدنيا كلها أطبقوا على أن مفهوم الرق في أصله مفهومٌ مقبول وسنذكر بعض الأمثلة:**

1- كان أرسطو يرى أن العبودية أمر بَدَهِيٌّ وكان من أشد المؤيدين لها والحريصين عليها

2- قال أرسطو: الذي يخضع للقانون هو أيضا عند مستوًى ما من العبودية.

3- جمهورية أفلاطون الفاضلة لا تخلو من العبيد.

4- يؤيد هيجل العبودية بشدة ويرى أن العبد يحقق متعته في خدمة سيده.

5- يقول كارل ماركس: بدون عبيد لا وجود لأمريكا الشمالية[1].

**سابعًا:** يرى هيجل أن الغريزة الأساسية في الإنسان هي الرغبة في نيل الاعتراف-ينال قيمته-، وفي هذا الإطار فالعبد يحقق غايته تمامًا، حيث أن العبد يحقق متعته في خدمة سيده وهو في ذلك يسعى إلى الرغبة في الاعتراف، والعبد لا يتمرد على سيده أبدًا لأنه أصلًا لا يعرف أنه ينقصه شيء، فهو رغباته المادية يحققها من أموال سيده ورغباته فوق المادية مثل الرغبة في الاعتراف يحققها ببراعته في عمله، بل وكلما كان أكثر إخلاصًا لسيده كان أكثر تحقيقًا لهذه الرغبة، لذا فالعبد لا يشعر أنه عبد، بل يتحرك في إطار عقلاني يستوعبه ويستوعب سيده، لذا لم يتمرد العبيد. فالعبد في البداية والنهاية مسوقٌ إلى الدور المطلوب منه - كالسيد تمامًا -.

**ثامنًا:** يقول مؤسس الدولة المدنية جون لوك: «الملوك في أمريكا القديمة والذين كانوا يملكون أراضٍ شاسعة هم أفقر ماديًّا من عامل إنجليزي في ورش مانشستر».

لكن الملك لديه من يعترف به فتزداد سعادته، فالسعادة قيمة نسبية لا علاقة لها بالوسائل المادية المتاحة، وإنما هدف السعادة المادية هو نيل الاعتراف وهذا متحقق للعبد ماديًّا!

**تاسعًا:** في لحظةٍ ما عندما نحتاج للعبيد سيعود العبيد، خاصةً وأنه بعد اختراع الأسلحة النووية ظهرت في الأدب العالمي فكرة احتمالية أنه في أي لحظة يمكن أن يخسر العالم كل التكنولوجيا الحديثة ونعود للخيل والجِمال مرةً أخرى، وفي فيلم محارب الطريق the road warrior للمنتج الاسترالي جورج ميلر، نرى حضارة مستقبلية قائمة على الخيل والعربات التي تجرها الحيوانات[2].

**عاشرًا:** الذي ينتقد العبودية هو حتمًا سينتقد منظومة العمل والحياة الوظيفية الآن، فالحياة الوظيفية هي رِق جزئي -عبودية جزئية-، وفي تعريفها الرسمي: استقطاع ساعات معينة من وقت الموظف لصالح مؤسسة أو شركة أو شخصٍ ما، مقابل تقاضي أجر محدد أو منفعةٍ محددةٍ.

(1) http://www.marxists.org/archive/marx/410.htm

(2) نهاية التاريخ، فرانسيس فوكو ياما، ص 86.

لكن الإنسان المعاصر يستسيغ المنظومة الوظيفية الآن، ولا يستسيغ مسألة الرق فقط بسبب المعاصرة - فهو معاصر للمنظومة الوظيفية ولم يعاصر مسألة الرق -.

بل إن الفرق الجوهري بين الرق والمنظومة الوظيفية هو فرق زمني لا قِيمي، فالمنظومة الوظيفية هي رِق وقتي، وسخرة جزئية كما يتفق على ذلك المُشرِّعون!

أيضًا الرق ليس بالصورة التي يرسمها ويروِّج لها العصرانيون، وإنما ربما تنطبق تلك الصورة على ما كان يجري في الدولة الرومانية، بينما في بلادنا كان الرقيق أئمة الدنيا وعلماء الدين. ودولة الممالك خير شاهدٍ عبر الزمان.

إذن الرق أمر بَدَهِيٌّ عبر التاريخ وعبر الجغرافيا، والحفاظ على حقوق الرقيق هو الوصية العاشرة من الوصايا العشر في التوراة[1].

والحفاظ على حقوق الأسياد ووجوب طاعتهم مِن قبل العبيد هو وصية الإنجيل: « الرسالة إلى أفسس 6:5».

ولم يكن الإسلام بِدعًا من الأديان، ولم يكن النبي ﷺ بِدعًا من الرسل، فقد جاءت الوصية مباشرةً بحفظ حقوق الرقيق في الإسلام.

**حفظ حقوق الرقيق في الإسلام:**

1- قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: 36].

2- وقال تعالى: ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [النساء: 25].

فأمر سبحانه مَن أراد أن يتزوج من أمته أن ينكحها بإذن أهلها وأن يعطيها مهرها كاملًا!

(1) سفر التثنية 21.

3- قال رسول الله ﷺ: **«لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي»**[1].

4- وقال ﷺ: **«إنّ إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه ممّا يأكل وليلبسه ممّا يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم»**[2].

ولذا صار الرقيق في الدولة الإسلامية ملوكًا وحُكامًا، وأصبحت فترات تاريخية كاملة في حِكرًا على الرقيق[3].

ولا يعرف تاريخ الإنسانية دينًا أشد حرصًا على الرقيق من الإسلام، يكفي أن تعلم أن هناك ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين يوم القيامة كما في نص الحديث عن رسول الله ﷺ:

1- رجل آمن بالكتاب الأول والكتاب الآخر، ثم أدركني فآمن بي.

2- ورجل كانت له أمة فأعتقها وتزوجها.

3- وعبد أدى حق الله وحق مواليه[4].

إذن الرجل لو أعتق جاريته وتزوّجها له أجره مرتين.

والعبد الذي يطيع سيده له أجره مرتين.

ولذا قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحديث المُتفق عليه: «والذي نفس أبي هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك».

**لكن هنا قد يطرح العلماني تساؤلًا هامًّا وهو: ما مصدر الرقيق وكيف يتحول الحر إلى عبد؟ ولماذا يتحول الأحرار إلى عبيد؟**

لا يعرف الكثير من العلمانيين أن الرق هو في الاصل رحمة!

(1) صحيح مسلم.
(2) متفق عليه.
(3) دولة المماليك في مصر.
(4) متفق عليه.

فالرق ينحصر في أرض المعركة وساحة القتال، فالكافر المقاتِل يُقتل، والكافرة المقاتلة تُسبى ولا تُقتل، وبالتالي تصبح في باب الرق أو السبي أو ملك اليمين وكلهااصطلاحات لها نفس المعنى.

**لكن لماذا نقوم باسترقاق النساء؟**

هذا كما قلنا من باب الرحمة؛ لأن الذي جاء يقاتلك ويحاربك لابد أن تقاتله، هذه بديهة تتفق عليها جميع الدساتير والشرائع!

أما المرأة التي جائت لتقاتلك فلا يجوز لك أن تقاتلها إلا لو باشرت قتلك!

فالمرأة لا تُقتل؛ لأن الإسلام لا يُجيز لك قتل النساء ولا الأطفال ولا الشيوخ ولا أصحاب الحرف الذين لم يأتوا إلى ساحة المعركة لمحاربة المسلمين؛ وإنما لممارسة حرفهم مع أنهم كفار ومع أنهم في ساحة المعركة!

فمن رحمة الإسلام بالمرأة أنها لا تُقتل -لأنها ضعيفة ولا تباشر قتل المسلمين في الغالب- بل تُسْبى.

والمرأة تُسْبى حتى يتم فداؤها بأسيرات المسلمين أو العفو عنها وإعادتها للعدو بلا مقابل ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: 4].

ولاحظ قوله تعالى: حتى تضع الحرب أوزارها، يعني في أرض المعركة، ولاحظ إما منًّا بعد: أي تُمن عليها بأن تُطلق سراحها بلا مقابل، وإما فداء: أي تفديها بالمسلمات اللاتي أسرهن العدو.

**فلا يوجد في الإسلام سبي إلا من أرض المعركة، وهذه قاعدة هامة!**

**ولا تُسبى المرأة إلا لأنه يحرم قتلها، مع أنها جاءت في جيش العدو وأرادت استئصال شأفتك!**

وقد فتح المسلمون بلاد الدنيا وملكوها ولم ينقلوا سكانها الأصليين سبايا إلى الجزيرة العربية فهذا لا يقوله عاقل، بل ولم ينقلوا ساحة المعركة إلى بيوت المدنيين الآمنين، بل إن هؤلاء المدنيين لم يجدوا عزهم وحريتهم إلا في كنف الإسلام!

وتُسبى المرأة ولا يجوز قتلها؛ لأنها كما قلنا حتى لو قاتلت فلا تباشر ذلك في الغالب بنفسها فعقوبتها أهون من الكافر الذي يريد قتل المسلمين ويباشر ذلك بنفسه، ودليل ذلك قول رسول الله ﷺ: **«ما كانت هذه لتقاتل»**.

**لكن هل يجوز نكاح المسبية؟**

المسبية لها عقد نكاح، أي يجوز نكاحها، كما الزوجة لها عقد نكاح، لكن شروط عقد نكاح المسبية تختلف عن شروط عقد نكاح الزوجة، فالزوجة لها شرط الاختيار فيمن يتقدم لها.

أما امرأة مقاتلة جاءت لتقاتلك مع جيش العدو وتم سبيها، فهذه ليس لها شرط اختيار من يتقدم لها.

لكن الزوجة والمسبية يتفقان في الأُطر العامة فلا تنتقل الزوجة إلى رجلٍ آخر إلا بطلاقٍ ومهرٍ جديدين، ولا تنتقل المسبية إلى رجلٍ آخر إلا بإطلاقٍ وعقدٍ جديد.

والتعرض للمسبية في حكم الشريعة يطابق التعرض للزوجة، فلو اغتصبها أحد يُقام عليه حد الزنا.

قال الشافعي: «وَإِذَا اغْتَصَبَ الرَّجُلُ الْجَارِيَةَ ثُمَّ وَطِئَهَا بَعْدَ الْغَصْبِ وَهُوَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْجَهَالَةِ أُخِذَتْ مِنْهُ الْجَارِيَةُ وَالْعُقْرُ وَأُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ الزِّنَا»». 253 الأم للشافعي الغصب.

**وهل يجوز سبي نساء الكفار المقاتلين الآن؟**

لو تم وضع قانون بحرمة سبي النساء والتزم به المسلمون والكافرون -كما هو حادث الآن-، فهنا لا يجوز للمسلم مخالفة القوانين والعهود، إلا لو بدأ العدو الغاشم في المخالفة!

وعليه تُحترم كل العهود والمواثيق التى تمنع السبى فى الحروب الآن.

وفي فترة حرب البوسنة كان المجرمون الصرب يغتصبون المسلمات البوسنيات، ومع ذلك لم يُجز علماء المسلمين للمجاهدين في ذلك الوقت سبي نساء العدو.

ثم هل وجدتم رحمةً أعظم من أن تلتزم في مقاتلة عدوك بسلاحه هو، فلا يجوز لك أن

تقتله بسلاح فتاك يهلك الديار والعباد و إنما تقاتله بنفس سلاحه ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194].

والله أعلم!

**لكن يبقى السؤال: هل يحق للملحد أن ينتقد مسألة الرق؟**

**في واقع الأمر قبل أن ينتقد الملحد مسألة الرق عليه أن يجيب عن الآتي:**

1- الدولة الوحيدة الملحدة على وجه الأرض الآن هي كوريا الشمالية، وداخل هذه الدولة يتم تقسيم الناس رسميًّا إلى سادة وعبيد، في نظام يُعرف باسم السونجبن Songbun، وحسب هذا النظام يتم تحديد كمية الغذاء ونوع البروتين وكميته وطبيعة العمل للمواطن الكوري الشمالي ولأولاده من بعده بحسب طبقته داخل السونجبن!

وهذا النظام معمول به منذ قرابة نصف قرن من الزمان -منذ انفصال الكوريتين- ولم نسمع أن ملحدًا أو علمانيًّا تمرد على هذا الأمر أو انتقده![1] .

2- أليس التمرد على الرق هو تمرد صريح على الدارونية وعلى قانون كوني يحكم وجودنا وهو قانون البقاء للأصلح؟

3- أليس التمرد على الرق هو تمرد على الحتمية المادية؟

4- أليس الرق يساعد مباشرةً على الانتخاب الطبيعي - عبر انتخاب الأقوياء والأكثر سيادة -، إذن لو كان الملحد ملحدًا، وكان الإلحاد صحيحًا وكانت الدارونية قضية حتمية، لأصبحت عودة الرق هدف كل ملحد، أليس كذلك؟

5- ما معنى الأخلاق؟ وهل تمت البرهنة عليها علميًّا حتى يتبناها الملحد؟

6- الملحد ينظر للإنسان على أنه لطخة بروتوبلازمية ثلاثية الأبعاد، حدود الطبيعة هي حدوده وقوانين المادة هي قوانينه، فكيف تسنّى له أن يستوعب الخطأ في الرق ثم ينتقده؟

(1) http://en.wikipedia.org/wiki/Songbun.

7- لا يوجد للأخلاق ترميز جيني - تشفير في الجينات -، إذن ليس لها مصدر مادي فكيف يتبنى الملحد نموذجًا أخلاقيًّا ينتقد من خلاله عملية الرق؟

**والآن وقبل أن نختم هذا الموضوع الثري نريد أن نعرض لبعض الصور المشرقة للرقيق في دولة الإسلام!**

حَكم المماليك -الرقيق- مصر والشام قرابة 600 عام، منذ عام 1240إلى 1811 ميلادية.

أي أن نصف تاريخ مصر والشام في الإسلام كان تحت سيادة المماليك، بل ولولا خيانة محمد علي وجريمته الشنعاء حين قام بذبحهم في مذبحة القلعة الشهيرة، لظل المماليك سادة الدنيا.

وفي عهد المماليك كانت جميع المقاطعات والولايات يحكمها مماليك.

والشاهد من ذلك أن الإسلام لا يمنع الرقيق أن يكونوا سادة الدنيا، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «أُوصيكم بتقوى الله.. والسمع والطاعة و إن كان عبدًا حبشيًّا».

إذن أوصى رسول الله ﷺ بالسمع والطاعة للرقيق حين يحكمون بلاد المسلمين!

ومن عجيب ما يُذكر هنا أن قطز وبيبرس حين وصلوا لحكم مصر كانوا رقيقًا وظلوا رقيقًا زمنًا طويلًا، إلى أن قدم التتار إلى بلاد الشام فاجتمع قطز بالأعيان والقضاة والأمراء، وطلب منهم جمع المال لتكوين جيش مصري عملاق. فقام الإمام العز ابن عبد السلام -رحمه الله- وطالبهم أن يكاتبوا أنفسهم حتى يقتدي بهم باقي المماليك، ففدوا أنفسهم بأموالٍ عظيمة- والمكاتبة في الشريعة الإسلامية هي أن يدفع العبد مبلغًا من المال لسيده مقابل حريته، وهذا حق جوهري من حقوق الرقيق في الإسلام: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ﴾ [النور: 33].

وبالفعل ظهر الجيش المصري العملاق!

لكن السؤال هنا: بالنسبة للرقيق الذين عاشوا في دولة الإسلام العادلة هل يحرصون على المكاتبة أو تعنيهم أصلاً؟

إن قطز وبيبرس لم يكاتبوا أنفسهم ويتحولوا إلى أحرار إلا لتمويل الجيش لا أكثر!

فقد كان المماليك سادة الدنيا وكان جيش المماليك من أعظم جيوش الدنيا.

وقد هزم المماليك المغول في معركة عين جالوت عام 1260 م.

أيضًا السلطان المملوكي -العبد- قنصوه الغوري الذي حكم مصر والشام والحجاز، انتصر على البرتغال التي كانت تريد تطويق أفريقيا في ذلك الوقت، وهزمهم شر هزيمة في موقعة مالابار عام 1508م.

وقد دافع السلطان قنصوه الغوري عن عدن وعن ديار الإسلام من هجمة المستعمر الجديد!

وكان للمماليك جهود عظيمة في شق الترع ومشاريع عملاقة في بلاد المسلمين، ولم يكن في الدنيا جيش يضاهي جيش المماليك إلا جيش الخلافة العثمانية!

ولولا خيانة محمد علي وجريمته النكراء في حق المماليك -مذبحة القلعة-، ربما ما تجرأ المستعمر الغربي العفن على ديار الإسلام وعلى استعمارها ولله الأمر من قبل ومن بعد.

أضف إلى ما سبق أن: الرقيق أيضًا هم سادة الآخرة، فأجرهم ضعف أجر السيد بنص الحديث كما بيّنا قبل قليل.

إذن المشكلة هي الصورة النمطية التي انطبعت في أذهان المعاصرين عن الرق، وليس الرق في حد ذاته.

وإلا فإن بلال بن رباح وعمار بن ياسر وزيد بن حارثة وأم أيمن وسمية بنت خياط، كلهم رقيق وكلهم عظماء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وما قلَّل رِقهم من قيمتهم شيئًا.

وفي التابعين من الرقيق العلماء العدد الكبير، فمنهم المحدث العظيم نافع مولى ابن عمر وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد وعطاء ومكحول وابن سيرين والحسن البصري وسعيد بن جبير، أئمتنا وسادتنا رضي الله عنهم أجمعين!

**لكن هل الرق قضية تاريخية انتهى زمنها كما يزعم الملحد والعلماني؟**

الذي يقول ذلك هو أجهل الناس بالتاريخ فاختفاء الرق رسميًّا في القرن الماضي -عام 1905 - كان فقط لظهور المكائن - الآلات التي حلت محل البشر -.

وإلا فالرق كان وسيظل موجودًا ما وُجدت الحاجة إليه، ولا فرق كما فصلنا بين العمل الوظيفي وبين الرق إلا في المحتوى الزمني لكلٍّ منهما.

**وسيعود الرق حال اختفاء المكائن كما تنبأ فرانسيس فوكو ياما!**

لكن طبعًا االملحد والعلماني عمومًا لا يعرفون لا تاريخ ولا فوكو ياما فضلًا عن تبصر أحوال البشر ودورات الزمان!

## لكن هل كان فلاسفة الإسلام ملحدين؟

صراحةً هذا السؤال يكرره الملاحدة كثيرًا، وهو يمثل خرافة من أسخف ما يكون؛

وقد رددت على هذا السؤال في كتابي كهنة الإلحاد الجديد وأنقل منه الآن شاهدًا:

**لا يوجد في تاريخ أُمة الإسلام ملحد واحد،**

ومشكلة الملحد العربي أنه لا يعرف الفرق بين الإلحاد الاصطلاحي والإلحاد في اللغة..

فيظن أن كل شخص أُطلق عليه لفظة ملحد أنه مُنكر للصانع..!!

فالإلحاد في اللغة يشمل كل من يميل عن شرع الله..

أما الإلحاد الاصطلاحي الذي يعني إنكار الصانع فهذا لا يُعرف في تاريخ أُمة الإسلام..

ولا يوجد في تاريخ أُمة الإسلام عبر التاريخ وعبر الجغرافيا مُلحد واحد..!!

**لا يوجد في تاريخ أُمة الإسلام عبر التاريخ وعبر الجغرافيا مُلحد واحد..!!**

يقول ابن رشد: «إن العرب كلها تعترف بوجود الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ» [1].

ويقول الشهرستاني: «وشبهات العرب مقصورة على شبهتين.. إنكار البعث.. وبعثة الرسول»[2].

(1) منهاج الأدلة ص128.. من كتاب (العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية.. د.فرج الله عبد الباري أستاذ العقيدة والأديان..دار الآفاق العربية..ص43).

(2) الملل والنحل 105.. (نفس المصدر السابق ص 43).

ويقول الشهرستاني أيضًا: «أما تعطيل الصانع العالم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد.. ولا أعرف عليها صاحب مقالة»[1].

ولذا «لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك»[2].

بل وقد ذهب الآلوسي وابن كثير في تفسيرهما إلى أن الدهرية كانوا يؤمنون بالله لكنهم ينكرون البعث وهذا في تفسيرهم قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: 24].

**وسنذكر فيما يلي الشخصيات التي وُصفت جهلًا وزورًا وكذبًا بالإلحاد:**

وليس معنى ذلك أن هذه شخصيات مُنزهة عن الخطأ بل بعضها له أخطاء شنيعة في العقيدة لكن هذا أمر لا علاقة له بالإلحاد - الذي هو إنكار الصانع - من قريب أو بعيد.

**الفارابي:**

وُلد سنة 260 هجرية ولُقِّب بـ«المعلم الثاني» نسبةً للمعلم الأول أرسطو.. وهو شارح مؤلفات أرسطو المنطقية... وصاحب كتاب «الآثار العلوية» والمنافح عن عقيدة التوحيد.. والذي قضى عمره زاهدًا متقشفًا ليتفرغ لتأصيل فلسفة التوحيد، وواجب الوجود وحين مات صلَّى عليه سيف الدولة ابن حمدان.. يقول الفارابي: «معرفة الحقائق القصوى كلها مصدرها الله والفيلسوف يتلقى الحقائق بواسطة العقل الفعال فتكون طبيعتها عقليه وليس حسية، أما الرسول فتأتيه المعارف مُنزَّلة من عند الله بتوسط الملك جبريل»[3].

ويضع الفارابي شرطًا جوهريًّا في مدينته الفاضلة وهو الإيمان بالله الواحد الأحد لكل أبناء المدينة.. فكيف يُقال عن هذا أنه ملحد؟.!!

**ابن سينا:**

وُلد سنة 370 هجرية، وكان والده شيعيًّا إسماعيليًّا.. ولُقِّب بـ «الشيخ الرئيس» وعاش

(1) نهاية الإقدام ص123.. (نفس المصدر السابق ص 43).
(2) المصدر السابق.
(3) الفارابي المعلم الثاني.

متفائلًا في جميع مراحل حياته وكان يعتقد أن العالم الذي نعيش فيه أحسن العوالم الممكنة، وكان له تأثر شديد بالإسماعيلية في كتاباته ولذا يعتبره شيخ الإسلام -ابن تيمية- من الطائفة الإسماعيلية لا أكثر.

وكان ابن سينا يقول بالمعاد الروحاني لا الجسماني، فقد كان متأثرًا كثيرًا بالفلسفة الباطنية عند الإسماعيلية لكن هذا شيء والإلحاد الذي هو كفر الصانع شيء آخر تمامًا.

بل إنه لما اعتلَّ وتكاثرت عليه الأمراض في نهاية حياته اغتسل وتاب وتصدَّق بما لديه من مال للفقراء، وأعتق غلمانه طلبًا للمغفرة، وبدأ يختم القرآن كل ثلاثة أيام[1].

**ابن طفيل:**

وُلد سنة 493 هجرية في قرطبة، وهو من قبيلة مُضر العربية، وهو الفيزيائي الطبيب العالم الفيلسوف، قاضي الأندلس.. صاحب رواية «حي بن يقظان « الشهيرة، التي تروي قصة طفل نشأ في جزيرة نائية بحضرة الحيوانات فاهتدى بفطرته إلى الله وظل يتعبد له... وقصة «حي بن يقظان» قصة فلسفية في غاية الرُقِيِّ الفكريِّ تُصنَّف في باب الإلهيات و إثبات الروح بالفطرة[2].

هل هذا يُقال عنه أنه ملحد؟

**ابن رشد:**

وُلد سنة 520 هجرية.. فيلسوف وفقيه وقاضي وفيزيائي وطبيب.. إمام أهل الأندلس المالكي، شيخ فلاسفة الإسلام.. قاضي أشبيلية.. صاحب كتاب «فصل المقال فيما بين الحِكمة والشريعة من الاتصال» وهو الكتاب الذي يشرح الجمع بين العقل والنقل.. يقول ابن رشد: «إنّ الحكمة هي صاحبة الشريعة، والأخت الرّضيعة لها، وهما المصطحبتان بالطّبع، المتحابّتان بالجوهر والغريزة»... ويعتبر ابن رشد أن الفلسفة هي «النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات، فإن الموجودات

(1) وفيات الأعيان.. لابن خلكان المجلد الثاني صفحة 157.

(2) http://shamela.ws/index.php/book/9734.

إنما تدل على الصانع بمعرفة صنعتها وأنه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم كانت المعرفة بالصانع أتم»[1].

ثم يأتي ملحد معاصر ويُصنف ابن رشد في قائمة الملحدين عنده..والله المستعان.!!

**ابن الراوندي:**

من أكثر الشخصيات غُموضا في تاريخ أُمة الإسلام.. لا نعرف هل مات في الأربعين أم الثمانين، انتقل بين الديانات..

كان يهوديًّا وأسلم ليستعز بالدولة الإسلامية العباسية، ثم أصبح معتزليًّا لأنهم الأقرب للخليفة، ثم هاجمهم، ثم التحق بالشيعة الباطنية، وألف كتابًا في تأييد الشيعة مقابل 33 دينار، ثم أصبح سُنيًّا وألف كتابًا في التوحيد انتصارًا للسُنة، ثم صار يهوديًّا مرة أُخرى وألَّف كتاب البصيرة لنصرة اليهودية مقابل 400 درهم، ثم حاول الرد على اليهود فأسكته اليهود مقابل 100 درهم أُخرى.. ومِثل هذا عبء على اليهود واليهودية لا أكثر..!![2].

**عبد الله بن المقفع:**

وُلد سنة 142 هجرية.. فارسي زرادشتي اعتنق الإسلام.. واتصل بعم أبي العباس السفاح وأبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، وكانت علاقاته السياسية سببًا مباشرًا في قتله وتلويث سمعته من قِبل حُساده بعد موته.. ولذا يقول وائل حافظ في تصديره لكتاب «الأدب الصغير»: «ابن المقفع كُتُبه بين أيدينا تكاد تنطق قائلة: «وايم الله! إنِّ صاحبي لبريء مما نُسب إليه»!. وليت شعري كيف ساغ لفلان وفلان وفلان ممن ترجموا للرجل أن يجزموا بذلك، وكلهم قد صَفِرَت يَدُهُ من البرهان؟ إنْ هي إلا تهمة تناقلوها بدون بيان. وقِدْمًا اتهموا أبا العلاء المعري بذلك حتى قيض الله له مِن جهابذة المتأخرين مَن أثبت بالدليل الساطع والبرهان القاطع براءته».

(1) ابن رشد.. فصل المقال ص22.

(2) يوسف زيدان أستاذ الفلسفة ومدير مركز المخطوطات بمكتبة الاسكندرية (المصدر كتاب «وهم الإلحاد» د.عمرو شريف).

ولذا يقول د. عبد الرحمن بدوي:» ابن المقفع نَسبت إليه المعتزلة الكثير من الأقوال وهذا يرجع إلى الحسد»[1].

**ابن زكريا الرازي:**

وُلد سنة 250 هجرية.. عالم وطبيب فارسي ومن أشهر الأطباء في التاريخ.. وقد ابتكر خيوط الجراحة وصنع المراهم..

لم ينكر وجود الله وكان يعتبر العقل هبة الله ليتفكر به الإنسان.. وهو صاحب كتاب «إن للعبد خالقًا».. فكيف يُصنف في زمرة الملحدين.؟

أما ما نُسب إليه في النبوات فيقول د. عبد الرحمن بدوي: «ابن زكريا الرازي كل ما لدينا عنه يرجع إلى ما يُورده الخصوم فضلًا عن ندرة هذه الآثار أصلاً» [2]

ولذا يُثني عليه الإمام الذهبي في سِير أعلام النُبلاء ولم ينقل فيه مذمَّة واحدة يقول الذهبي: «أبو بكر، محمد بن زكريا الرازي الطبيب، صاحب التصانيف، من أذكياء أهل زمانه، وكان كثير الأسفار، وافر الحُرمة، صاحب مروءةٍ و إيثار ورأفة بالمرضى، وكان واسع المعرفة، مكبًّا على الاشتغال، مليح التأليف.. وله كتاب: الحاوي ثلاثون مجلدًا في الطب، وكتاب: إن للعبد خالقاً»..!! [3]

**جابر ابن حيان:**

وُلد سنة 101 هجرية.. عالم مسلم عربي.. كيميائي ويُعد أول من استخدم الكيمياء عمليًّا في التاريخ.. وتُسمى باسمه فيقال: «علم جابر» ويُقصد به الكيمياء، وله في الكيمياء ما لأرسطو في المنطق.

ويوصف طبقًا لفرانسيس بيكون أنه «أول من عَلَّم عِلم الكيمياء»..

وهو أول من اكتشف الأحماض والقلويات وأطلق عليها هذا الاسم الذي ما زالت تعرف به في الغرب والشرق alkali.

(1) من تاريخ الإلحاد في الإسلام.. د.عبد الرحمن بدوي.
(2) من تاريخ الإلحاد في الإسلام.. د.عبد الرحمن بدوي.. ص165.
(3) سير أعلام النبلاء: الطبقة السابعة عشر: محمد بن زكريا.

واستخدم المنهج التجريبي في أبحاثه.. وكان من أصحاب جعفر الصادق.. وكان صوفيًّا دراسًا للقرآن الكريم..!!

ولا أدري ما علاقة الرجل بالإلحاد..!!

**الجاحظ:**

وُلد سنة 159 هجرية.. من كبار أئمة الأدب العربي في العصر العباسي.. وكان فقيرًا فصار يبيع السمك والخبز في النهار، ويكتري دكاكين الورّاقين في الليل، فكان يقرأ منها ما يستطيع قراءته...!!

تتلمذ على يد إبراهيم بن سيار النظَّام المعتزلي.. وله مقالات في أصول الدين.. وأشهر مؤلفاته «الحيوان» و«البيان والتبيين» وكان مُحبًّا للعلم والعلماء والأئمة وملازمًا لهم طيلة عمره...

ومن مؤلفاته في العقيدة «الحُجة في ثبت النبوة»، و«الرد على اليهود»، و«الرد على الجهمية»[1]

وما أدري كيف يوصف الرجل بالإلحاد...؟!!

**أبو العلاء المعري:**

وُلد سنة 363 هجرية.. شاعر وأديب عربي من العصر العباسي.. قال ابن فضل العمري: «أخذ عنه خلق لا يعلمهم إلا الله، كلهم قضاة وخطباء وأهل تبحر واستفادوا منه، ولم يَذكره أحدٌ منهم بطعن، ولم يُنسب حديثه إلى ضعف أو وهن».

آمن المعري بالله إيمانًا فطريًّا وعقليًّا يجعله لا يرتاب في وجود الخالق:

**أثبت لي خالقًا حكيما ... ولست من معشر نُفَاة**

بل إن صِلته بربه قوية وأعز عنده من الدر والياقوت:

**وشاهدٌ خالقي أن الصلاة له ... أجل عنديَ من دري ويا قوتي**

(1) http://forum.alqum-a.com/t28149.html.

انقطع عن الدنيا وفارق لذائذها، وأطلق على نفسه رهين المحبسين، وكان يصوم النهار ويسرد الصيام سردًا لا يفطر إلا العيدين، ويقيم الليل ولا يأكل اللحوم والبيض والألبان ولايتزوج، وكان يكتفي بما يخرج من الأرض من بقلٍ وفاكهة[1].

اتُّهم بالزندقة بسبب رسالته في الغفران لكنها رسالة مزح كان يمازح فيها صديقه ابن القارح، وتظهر فيها مقدرة المعري اللغوية كما تبدو فيها مقدرته على السخرية والنقد..!!

ولكنه وَجد من يدافع عنه نافيًا هذه التهمة. ومن هؤلاء أبو فهر محمود شاكر والمُحدث أحمد شاكر والقفطي وابن النديم، وسَمَّى الأخير كتابه:» كتاب الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري «وقال في مقدمته متحدثًا عن حُسَّاده وشانئيه: « ومنهم من حمل كلامه على غير المعنى الذي قصده، فجعلوا محاسنه عيوبًا وحسناته ذنوبًا وعقله حمقًا وزهده فِسقًا، ورشقوه بأليم السِهام».

ومِن أحسن الشهادات في حقه شهادة الإمام الذهبي حين قال في سير أعلام النُبلاء: «وفي الجملة فكان من أهل الفضل الوافر والأدب الباهر والمعرفة بالنَّسَبِ وأيام العرب. وله في التوحيد و إثبات النبوة وما يحض على الزهد و إحياء طرق الفتوة والمروءة، شِعر كثير والمشكل منه فله ـ على زعمه ـ تفسير».

**الكندي:**

وُلد سنة 185 هجرية.. عالم مسلم عربي.. برع في الفيزياء والطب والترجمة وهو رائد تحليل الشفرات.. ويلقب بـ «فيلسوف العرب»؛ نظرًا لبراعته في التوفيق بين الفلسفة والعلوم الإسلامية.. وفلسفته كانت في إثبات توحيد الله وفي الروح ويرى أن النبوة تفضل الفلسفة في أربعة أوجه: «في شموليتها وأنها من الله مباشرة وسهولة تلقيها من الله وسرعة تلقينها للناس العاديين بعكس الفلسفة الأكثر تعقيدًا»...

فكيف يقال عن هذا أنه مُلحد؟

(1) http://shamela.ws/index.php/author/84.

**أبو حيان التوحيدي:**

وُلد سنة 310 هجرية.. فيلسوف متصوف.. قال عنه تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى «شيخ الصوفية وصاحب كتاب البصائر وغيره من المصنفات في علم التصوف.... وكان فقيرًا صابرًا متدينًا إلى أن قال: وكان صحيح العقيدة. قال الذهبي: كذا قال، بل كان عدوًّا لله خبيثًا، وهذه مبالغة عظيمة من الذهبي». انتهى.

قال ياقوت الحموي في «معجم الأدباء»: «أبو حيان التوحيدي... صوفي السمت والهيئة.. فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاءً وفطنةً، وفصاحةً ومكنةً، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية، وكان مع ذلك محدودًا محارفًا يشتكي صرف زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه..»[1].

إذن لم يكن في تاريخ الإسلام ملحد واحد، فالإلحاد الذي هو إنكار الصانع يختلف عن الإلحاد الاصطلاحي المعاصر...

لا يوجد في تاريخ الإسلام مُلحد واحد عبر التاريخ وعبر الجغرافيا.. ولم يُنسب الإلحاد الذي هو كُفر الصانع إلى واحد من أُمة الإسلام..!!

ولم يقل بالإلحاد الذي هو كفر الصانع واحد من جملة العُقلاء ولا الفلاسفة ولا الأطباء ولا أهل الفلك ولا الحساب ولا الفيزياء ولا الكيمياء في تاريخ أُمة الإسلام.. ولم يُحفظ سطر واحد فيه إنكار الصانع عن أُمة الإسلام قاطبةً...

وحتى ابن سينا الذي أكثر عليه الملاحدة، فغاية ما هو منسوب إليه عند الغزالي وابن تيمية وابن القيم، إنكار علم الله بالجزئيات بعلم جزئي بل بعلم كُلّي - ظنًّا منه أن هذا أقرب للتنزيه -، وهذا لا علاقة له من قريب أو بعيد بالإلحاد الذي هو إنكار الصانع، وحاشا لله أن تُخبل عقول هؤلاء الفلاسفة إلى هذا الحد من الجنون..!!

وأنكر ابن سينا أيضًا المعاد الجسماني يوم القيامة: «فليكن هذا كافيًا في مناقضة الجاعلين المعاد للبدن وحده، أو للنفس والبدن معًا...فالمعاد إذن للنفس وحدها»[2].

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، الجزء الخامس عشر، حرف العين..
(2) الأضحوية، ص114، 126.

وهذه شنيعة كبرى في العقيدة لكن ما علاقتها بكفر الصانع، بل ربما نستدل منها على إثبات الصانع والإيمان بالبعث عند ابن سينا فهذه من بدهيات عقيدته والتي لم ينفها عنه مَن كفَّروه..!!

**ويرى شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله أن ابن سينا ما اشتغل بالفلسفة إلا لتنزيه الله عن افتراءات الطائفة الإسماعيلية التي هي عائلته**[1].

لكنه تأثر بالإسماعيلية أهل دعوة الحاكم في الإمامة[2].

وبالمناسبة عندما تقرأ كلمة «إلحاد الطائفة الإسماعيلية»عندما تقرأ هذه الكلمة عند السلف عليك أن تعلم أنها لا علاقة لها من قريب أو بعيد أو فوق أو تحت بكفر الصانع أيضًا... بل الطائفة الإسماعيلية اثني عشرية مؤمنون بالقرآن الكريم حتمًا وقطعًا، موحدون الله حتمًا وقطعًا، مثبتون وجود الله بداهة.. وإنما يقول بعضهم بشناعات كُفرية في العقيدة مثل إنكار المعاد الجسماني وإنكار علم الله بالجُزيئات بعلم جزئي وغير ذلك.. وينسبون الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق - ولذا سُموا بالإسماعيلية - وبذلك انشقوا عن باقي الاثني عشرية الذين جعلوا الإمامة في موسى الكاظم... ولا أدري أيضًا ما علاقة هذا بالإلحاد الاصطلاحي المعاصر الذي هو كفر الصانع..!!

فلابد لابد من التفريق بين الإلحاد لغةً والإلحاد اصطلاحًا... ولذا يقول ابن القيم رحمه الله: «ومَن أثبتَ منهم وجودَ الربِّ جعله لازمًا لذاته أزلًا وأبدًا غيَر مخلوقٍ، كما هو قول ابن سينا والنصير الطوسي وأتباعهما من الملاحدة» [3].

إذن الإلحاد عند السلف لا علاقة له بالإلحاد الاصطلاحي المعاصر الذي يعني إنكار الصانع..!

وفي النجوم الزاهرة للتغري بردي قال وهو يتحدث عن ابن سينا:

«كان إمام عصره في الحكمة وعلوم الأوائل، بل كان إمامًا في سائر العلوم. وتصانيفه

(1) شيخ الإسلام ابن تيمية... الرد على الرد على المنطقيين... ص141.
(2) شيخ الإسلام ابن تيمية... نقض المنطق... ص 87.
(3) اجتماع الجيوش الإسلامية... ص86.

كثيرة في فنون العلوم، حتى قيل عنه: إنه ليس في الإسلام من هو في رتبته. قال أبو عبد الله الذهبي: كان ابن سينا آية في الذكاء، وهو رأس الفلاسفة الإسلاميين الذين مشوا خلف العقول، وخالفوا الرسول - قلت: لم يكن ابن سينا بهذه المثابة بل كان حنفي المذهب، تفقه على الإمام أبي بكر بن أبي عبد الله الزاهد الحنفي - وتاب في مرض موته، وتصدق بما كان معه، وأعتق مماليكه، ورد المظالم على من عرفه، وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة إلى أن توفي يوم الجمعة في شهر رمضان. قلت: ومن يمشي خلف العقول، ويخالف الرسول، لا يقلد الأحكام الشرعية، ولا يتقرب بتلاوة القرآن العظيم».

والله وحده الأعلم بحال ومآل ابن سينا... لكن غاية ما هنالك أن هذا شيء وإنكار الصانع شيء آخر تمامًا..

فيُرجى عدم الخلط.. لأن هذا غاية الملحد المعاصر ومنتهى مأربه وبالغ عزمه وأصل قصده والله المستعان..!!

## لماذا لا يوجد نموذج إسلامي ناجح سياسيا

هذا السؤال المدهش يمكن أن يصدر عن إنسان لم يقرأ يومًا في كتب التاريخ كلمة واحدة!

فأطول حضارة في تاريخ البشرية هي الحضارة الإسلامية، وتم فيها مباشرةً تطبيق مشروع الإسلام السياسي، وظلت 1200 عام تقود العام وتتربع على عرش العالم بأكبر جيش وأكبر قائمة من العلماء والمفكرين، وأكبر وحدة سياسية واقتصادية ودينية عرفها التاريخ.

ربما يظن الملحد أن تاريخ العالم يبدأ بوصول الإنجلوساكسون في أمريكا، والبلاشفة في روسيا إلى قيادة العالم منذ مائة عام.؟

إن موسكو كانت إحدى الولايات الخاضعة لإمارة القرم الإسلامية حتى عام 1850.

بل إن المجر وبولندا ورومانيا ويوغوسلافيا ونصف روسيا ومقدونيا واليونان وثلث فرنسا وبلغاريا والبوسنة والجبل الأسود وألبانيا ومقدونيا وصقلية وكريت ورودس، كلها كانت ولايات عثمانية حتى القرن الثامن عشر.

وكانت الصيدلة والطب والفلك والميكانيكا والرياضيات والطبيعة والجغرافيا علوم عربية أصيلة ظهرت في حقبة الإسلام السياسي، وكلها علوم ما تزال تحمل الأسماء العربية الفصحى إلى اليوم، وكان الصاحب بن عباد لديه من الكتب ما يقدر بما كان في مكتبات أوربا مجتمعة، وكنت تجد في المساجد من قرطبة إلى سمرقند علماء لا يحصيهم عدد.

وكان جيش الخلافة العثمانية أقوى جيوش العالم قاطبًة.

وظلت القيادة العسكرية والعلمية والفكرية والفلسفية حصرية لدولة الإسلام طيلة 1200 سنة.

هذا هو الإسلام السياسي وهذه هي دولته.

ثم يأتي أحد القمامصة الملحدين و يقول: لماذا لا يوجد نموذج إسلامي ناجح سياسيًّا!!